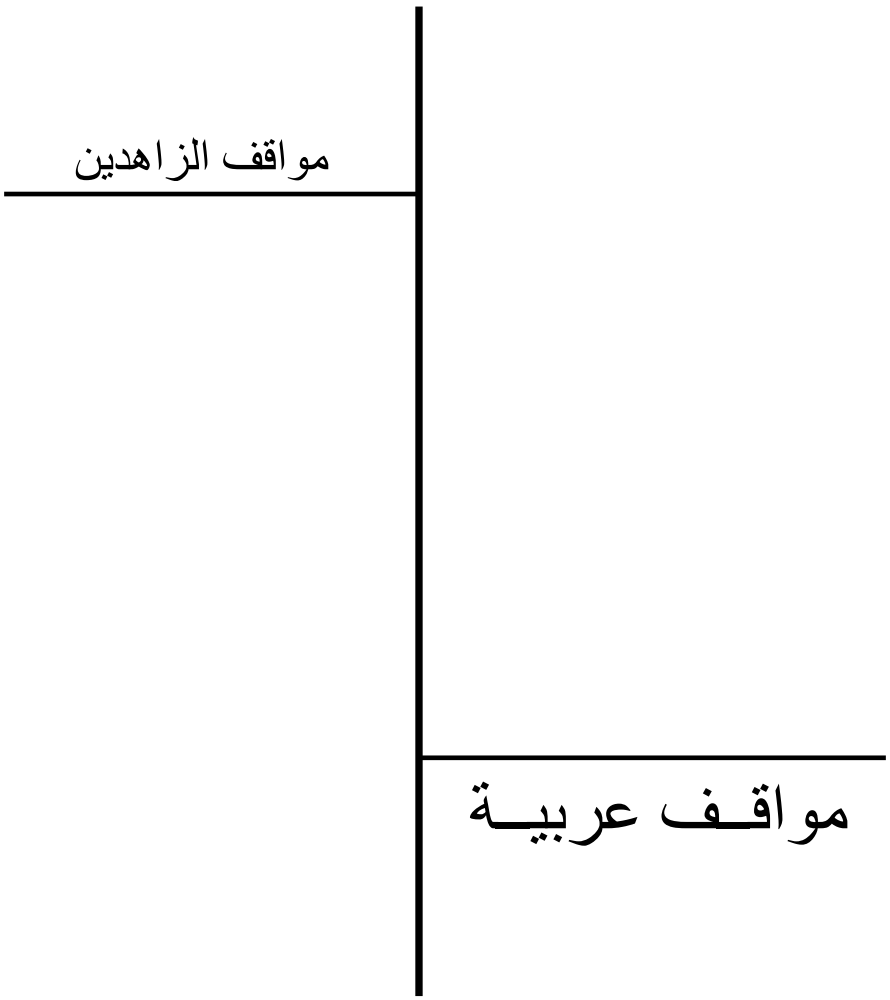
مواقف الزاهدين
مواقــف عربيــة

مواقف الزاهدين

قيل الزهد هو بغض الدّنيا والإعراض عنها، وقيل: هو ترك راحة الدّنيا طلبا لراحة الآخرة، وقيل: هو أن يخلو قلبك ممّا خلت منه يدك.

وقال شيخ الإسلام ابن تيميّة: الزّهد المشروع: هو ترك الرّغبة فيما لا ينفع في الدّار الآخرة، وهو فضول المباح الّتي لا يستعان بها على طاعة الله، كما أنّ الورع المشروع: هو ترك ما قد يضرّ في الدّار الآخرة.

وهو ترك المحرّمات والشّبهات الّتي لا يستلزم تركها ترك ما فعله أرجح منها، كالواجبات، فأمّا ما ينفع في الدّار الآخرة، فالزّهد فيه ليس من الدين بل صاحبه داخل في قوله تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾} [المائدة: ٨٧]. كما أنّ الاشتغال بفضول المباحات، هو ضدّ الزّهد المشروع، فإن اشتغل بها عن فعل واجب أو فعل محرّم كان عاصيا، وإلاّ كان منقوصا عن درجة المقرّبين إلى درجة المقتصدين.

وقال ابن الجوزيّ: الزّهد: عبارة عن انصراف الرّغبة عن الشّيء إلى ما هو خير منه، وشرط المرغوب عنه أن يكون مرغوبا بوجه من الوجوه، فمن رغب عن شيء ليس مرغوبا فيه، ولا مطلوبا في نفسه لم يسمّ زاهدا. كمن ترك التّراب لا يسمّى زاهدا وإنّه ليس الزّهد ترك المال وبذله على سبيل السّخاء والقوّة واستمالة القلوب فحسب، بل الزّهد أن يترك الدّنيا للعلم بحقارتها بالنّسبة إلى نفاسة الآخرة.

وقال ابن القيّم: إنّ الزّهد سفر القلب من وطن الدّنيا، وأخذه في منازل الآخرة. وعلى هذا صنّف المتقدّمون كتب الزّهد، كالزّهد لعبد الله بن المبارك، وللإمام أحمد، ولوكيع، ولهنّاد بن السّريّ، ولغيرهم.

ومتعلّقه ستّة أشياء لا يستحقّ العبد اسم الزّهد حتّى يزهد فيها: وهي المال، والصّور، والرّياسة، والنّاس، والنّفس، وكلّ ما دون الله.

وليس المراد رفضها من الملك، فقد كان سليمان وداود - عليهما السّلام - من أزهد أهل زمانهما. ولهما من المال والملك والنّساء مالهما. وكان نبيّنا ﷺ من أزهد البشر على الإطلاق. وله تسع نسوة، وكان عليّ

بن أبي طالب، وعبد الرّحمن بن عوف، والزّبير وعثمان رضي الله عنه من الزّهّاد مع ما كان لهم من الأموال، وغيرهم كثير.

وقد قال المولي عز وجل :{وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨ وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ١٩ وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ٢٠} [يوسف: ١٦ - ٢٠].

وقال تعالى:{ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ١٣٠ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ١٣١} [طه: ١٣٠ - ١٣١].

وقال تعالى:{وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٥١ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ٥٢ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ٥٣ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٥٤ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ٥٥} [القصص: ٥١ - ٥٥].

وقال تعالى:{ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ٨٣} [القصص: ٨٣].

وقال تعالى:{ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ٢٠} [الشورى: ٢٠].

وقد قال الحبيب محمد ﷺ :**"كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها، فإنّها تزهّد في الدّنيا وتذكّر الآخرة-**[1].

(1) ابن ماجه (1571) واللفظ له وفي الزوائد: إسناده حسن، وأصله عند مسلم (976، 977)، وذكره الحاكم في المستدرك (1/ 375)، ونحوه قبله عن أبي سعيد الخدري وصححه ووافقه الذهبي على رواية أبي سعيد.

وعن سهل بن سعد السّاعديّ رضي الله عنه قال: أتى النّبيّ صلى الله عليه وسلم رجل فقال: يا رسول الله، دلّني على عمل، إذا أنا عملته، أحبّني الله، وأحبّني النّاس فقال رسول الله ﷺ :"**ازهد في الدّنيا، يحبّك الله، وازهد فيما في أيدي النّاس، يحبّوك**"[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّه كان يقول: الله الّذي لا إله إلاّ هو، إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع. وإن كنت لأشدّ الحجر على بطني من الجوع. ولقد قعدت يوما على طريقهم الّذي يخرجون منه، فمرّ أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلاّ ليشبعني، فمرّ ولم يفعل، ثمّ مرّ بي عمر فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلاّ ليشبعني، فمرّ فلم يفعل، ثمّ مرّ بي أبو القاسم ﷺ فتبسّم حين رآني، وعرف ما في نفسي وما في وجهي. ثمّ قال: يا أبا هرّ! قلت: لبّيك يا رسول الله، قال: الحق، ومضى. فتبعته فدخل فاستأذن، فأذن لي، فدخل فوجد لبنا في قدح، فقال: من أين هذا اللّبن؟ قالوا: أهداه لك فلان - أو فلانه - قال: أبا هرّ! قلت: لبّيك يا رسول الله، قال: الحق إلى أهل الصّفّة [2]فادعهم لي.

قال: وأهل الصّفّة أضياف الإسلام، لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم، ولم يتناول منها شيئا، وإذا أتته هديّة أرسل إليهم، وأصاب منها، وأشركهم فيها، فساءني ذلك، فقلت: وما هذا اللّبن في أهل الصّفّة؟ كنت أحقّ أن أصيب من هذا اللّبن شربة أتقوّى بها، فإذا جا ؤوا أمرني فكنت أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللّبن، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بدّ، فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا، فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت. قال:"**يا أبا هرّ**"، قلت: لبّيك يا رسول الله، قال: "**خذ فأعطهم**"، فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرّجل فيشرب حتّى يروى، ثمّ يردّ عليّ القدح فأعطيه الرّجل فيشرب حتّى يروى، ثمّ يردّ عليّ القدح فأعطيه الرّجل فيشرب حتّى يروى، ثمّ يردّ عليّ القدح حتّى انتهيت إلى النّبيّ ﷺ وقد روي القوم كلّهم. فأخذ القدح فوضعه على يده، فنظر إليّ فتبسّم فقال:"**أبا هرّ**"، قلت: لبّيك

(1) ابن ماجه (4102) وصححه الألباني، صحيح ابن ماجه برقم (3310).
(2) أهل الصفة: هي سقيفة مظللة كانت تأوي إليها المساكين في المسجد النبوي.

يا رسول الله، قال: "**بقيت أنا وأنت ـــ**، قلت: صدقت يا رسول الله، قال: "**اقعد فاشرب** -فقعدت فشربت. فقال: "**اشرب** -فشربت، فما زال يقول: "**اشرب ـــ**، حتّى قلت: لا والّذي بعثك بالحقّ، ما أجد له مسلكا، قال:"**فأرني ـــ**، فأعطيته القدح، فحمد الله، وسمّى وشرب الفضلة) [1].

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال:"**كن في الدّنيا كأنّك غريب أو عابر سبيل ـــ**. وكان ابن عمر رضي الله عنه يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصّباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحّتك لمرضك، ومن حياتك لموتك[2].

وعن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ارتحلت الدّنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكلّ واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدّنيا؛ فإنّ اليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل.

وعنه رضي الله عنه أنّه قال: طوبى للزّاهدين في الدّنيا، والرّاغبين في الآخرة، أولئك قوم اتّخذوا أرض الله بساطا، وترابها فراشا، وماءها طيبا، والكتاب شعارا، والدّعاء دثارا، ورفضوا الدّنيا رفضا.

عن عروة بن الزّبير رضي الله عنه قال: ما كانت عائشة أمّ المؤمنين تستجدّ ثوبا حتّى ترقّع ثوبها وتنكّسه [3]. قال: ولقد جاءها يوما من عند معاوية ثمانون ألفا، فما أمسى عندها درهم، قالت لها جاريتها: فهلاّ اشتريت لنا منه لحما بدرهم؟. قالت: لو ذكّرتني لفعلت[4].

قال ابن مسعود رضي الله عنه الدّنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا علم له.

---

(1) البخاري - الفتح 11 (6452).

(2) البخاري - الفتح 11 (6416). قالوا في شرح هذا الحديث: معناه لا تركن إلى الدنيا ولا تتخذها وطنا ولا تحدث نفسك بطول البقاء فيها ولا بالاعتناء بها، ولا تتعلق منها بما لا يتعلق به الغريب في غير وطنه، ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذي يريد الذهاب إلى أهله وبالله التوفيق.

(3) تنكسه: تلبسه منكسا أي ما كان داخلا مستترا منه يصبح من الظاهر، وما كان ظاهرا يصبح باطنا.

(4) الترمذي (1781) وهذه زيادة من كتاب رزين، وله شواهد في الصحيحين، وانظر: الزهد لوكيع (1/ 337).

وعن الحسن رضي الله عنه : ليس الزّهد في الدّنيا بتحريم الحلال وإضاعة المال، ولكن أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أصبت بها، أرغب منك فيها لو لم تصبك.

وقال سفيان الثّوريّ - رحمه الله -: الزّهد في الدّنيا قصر الأمل، ليس بأكل الغليظ ولا بلبس العباءة.

ومن فوائد الزهد جملة:

- فيه تمام التّوكّل على الله.
- يغرس في القلب القناعة.
- صرف المسلم عن التّعلّق بالملذّات الفانية إلى العمل من أجل النّعيم المقيم.
- فيه كبح جماح النّفس إلى الشّهوات.
- يؤصّل العفّة والنّزاهة في نفوس المؤمنين.
- يعلّم المسلم كيف يسدّد هدفه إلى الدّار الآخرة.
- الزّاهد يحبّه الله ويقرّبه إليه.
- راحة في الدّنيا وسعادة في الآخرة.
- حبّ النّاس له حيث أنّه لا يزاحمهم على دنياهم.
- فيه التّأسّي برسول الله ﷺ وصحابته الكرام.
- الاطمئنان إلى جناب الله والرّضا بما قسم.
- يؤصّل في النّفس حبّ الإنفاق في سبيل الله وعدم التّعلّق بالدّنيا.
- يخرج نفسه من عبوديّة الشّيطان والدّنيا والنّفس.

ومن المواقف:

خذها، وأطعم الحلواء صبيانك:

يروى: أنه كان لرجل على آخر دين مائة دينار، فطلب الرجل الوثيقة،فلم يجدها، فجاء إلى بنان ليدعو له، فقال: أنا رجل قد كبرت، وأحب الحلواء، اذهب اشتر لي من عند دار فرج رطل حلواء حتى أدعو لك، ففعل الرجل، وجاء، فقال بنان: افتح ورقة الحلواء، ففتح، فإذا هي

الوثيقة، فقال: هي وثيقتي، قال: خذها، وأطعم الحلواء صبيانك [1].

أوصني!:

قال: " بينا أنا أسير بين مكة والمدينة، وإذا شخص قد تراءا لي، فأممت نحوه، فلما قربت منه سلمت عليه، وقلت له: " أوصني! " فقال: " يا بنان! إن كان الله قد أعطاك من سر سره سراً، فكن مع ما أعطاك؛ وإن كان الله لم يعطك من سر سره سراً فكن مع الناس على ما هم عليه من الظاهر ".

أليس حبيبك معك؟!:

وقال: " دخلت البرية - على طريق تبوك - وحدي، فاستوحشت، فإذا هاتف يهتف: يا بنان! نقضت العهد! لم تستوحش؟! أليس حبيبك معك؟!" [2].

لا ذاق داود تمرا ما دام في الدنيا:

قال الوليد بن عقبة: كان يخبز لداود الطائي ستون رغيفا فيعلقها بشريط ويفطر كل ليلة على رغيفين وملح وماء فأتي ليلة بفطره فجعل ينظر إليه ومولاة له تنظر إليه فقامت فجاءته بشيء من تمر؟ فأفطر ثم قام فصلى حتى أصبح ثم أصبح صائما فلما جاء وقت الإفطار أخذ الرغيفين وجعل ينظر إليهما قال الوليد بن عقبة: فحدثني جار له قال: سمعته يعاتب نفسه ويقول: اشتهيت البارحة تمرا قد أطعمتك ، واشتهيت الليلة تمرًا لا ذاق داود تمرا ما دام في الدنيا فما ذاقه حتى مات.

فكان في اعتزالي أكثر العافية:

قال القاسم بن معن: لما اعتزل داود الطائي أتيته فقلت يا أبا سليمان تركت إخوانك ومجالسة من يذاكرك العلم فسكت طويلا ثم قال: رحمك الله اني رأيت قلوبا لاهية وألسنة مؤتلفة وهمما مختلفة وأهواء متبعة ودنيا مؤثرة فكان في اعتزالي أكثر العافية.

(1) سير أعلام النبلاء، 14 /489.
(2) تاريخ بغداد، 7 /101.

لقد هان الخلق على داود:

عن حبان بن علي قال: احتاج الحسن بن قحطبة أن يسأل داود الطائي عن مسألة فهابه أن يأتيه وحده فقال لرجل من وجوه طيء وشيوخها إني احتجت إلى لقاء داود فكن معي فأتياه فدخلا وسلما عليه ورد السلام عليهما فلما عرف ابن قحطبة تقبض وجعل لا ينظر اليهما فابتدأ الحسن فسأله عن المسألة فلم يجبه ولم يكلمه ، فأعاد عليه فأعرض بوجهه عنه فلما رأى ذلك ابن قحطبة خرج وتوقف الشيخ عنده، فقال له: يا أبا سليمان يجيئك ابن عم لك يسألك من مسألة من أمر دينه فلا تجيبه فنظر إليه نظرة منكرة ثم قال{ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ } [المؤمنون: ١٠١]. فقام الشيخ مبادرا فأصاب ابن قحطبة: ينتظره فأخبره فقال ابن قحطبة لقد هان الخلق على داود طوبى له ثم ذهب.

وهى تريد الجنة غداً:

ويروى أنه خرج يوماً إلى السوق، فرأى الرطب، فاشتهته نفسه، فجاء إلى البائع فقال: " أعطني بدرهم إلى الغد ". فقال له: " اذهب إلى عملك " فرآه بعض من يعرفه، فأخرج له صرة فيها مائة درهم، وقال له: " اذهب فان أخذ منك بدرهم رطباً فالمائة لك ". فلحقه البائع، وقال له: " ارجع خذ حاجتك " فقال: لا حاجة لي فيه. أنا جربت هذه النفس، فلم أرها تسوى في هذه الدنيا درهماً، وهى تريد الجنة غداً ".

كان لنا عند الله مذخورا:

عن حماد بن أبي حنيفة أن مولاة لداود الطائي كانت تخدمه فقالت له: لو صنعت لك دسما؟ قال: وددت فطبخت له شحما وجاءت به فقال لها: ما فعل أيتام بني فلان قالت على حالهم قال: اذهبي به إليهم. قالت: فديتك إنك لم تأكل أدما منذ كذا وكذا. قال: إن هذا إذا أكلوه كان لنا عند الله مذخورا ، وإذا أكلته كان في الحش [1].

(1) أخبار أبي حنيفة، 1 / 121.

أقل من إتياني:

قال نعيم بن يعقوب: سمعت سفيان بن عيينة يقول: كنت ربما أتيت داود الطائي فإذا أتيته تبينت ثقل موضعي عليه ، وأراه يتململ، فقال لي يوما: يا سفيان أما لك شغل يا سفيان أقل من إتياني [1].

وأنا أستحي من الله:

ودخل عليه بعض أصحابه، فرأى جرة ماء، قد انبسطت عليها الشمس، فقال له: " ألا تحملها إلى الظل؟ " فقال: " حين وضعتها لم يكن شمس، وأنا أستحي من الله أن يراني أمشى لما فيه حظ نفسي ".

ادعه حتى أشتهيه:

ودخل عليه رجل، فوجده يأكل ملحاً جريشاً بخبز يابس، فقال له: " كيف يشتهى هذا؟ " قال: " أدعه حتى أشتهيه " [2].

تلك ضالة لا توجد:

وأتاه الفضيل بن عياض يعوده فقال له أقلل من زيارتنا فإني خليت الناس فجاءه يوما ولم يفتح له الباب فقعد فضيل يبكي في الخارج وداود في الداخل فقال له: دلني على رجل أجلس إليه؟ قال: تلك ضالة لا توجد[3].

كنت أخاصم نفسي:

وقال إسماعيل بن حسان: جئت إلى باب داود الطائي فسمعته يخاطب نفسه فظننت أن عنده أحداً، فأطلت القيام على الباب ثم استأذنت فدخلت، فقال: ما بدا لك في الاستئذان قلت: سمعتك تتكلم فظننت أن عندك أحداً، قال: لا ولكن كنت أخاصم نفسي؛ اشتهت البارحة تمراً فخرجت فاشتريت لها، فلما جئت اشتهت جزراً، فأعطيت الله عهداً ان لا آكل تمراً ولا جزراً حتى ألقاه.

---

(1) أخبار أبي حنيفة، 123.

(2) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 34.

(3) عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، 1 / 540.

إن في قبلوهما عتق رقبانا من الرق:

وقدم محمد بن قحطبة الكوفة فقال: أحتاج إلى مؤدب يؤدب أولادي حافظ لكتاب الله تعالى عالم بسنة رسول الله ﷺ وبالآثار والفقه والنحو والشعر وأيام الناس؛ فقيل له: ما يجمع هذه إلا داود الطائي، فسير إليه بدرة عشرة آلاف درهم، وقال: استعن بها على دهرك، فردها فوجه إليه بدرتين مع غلامين مملوكين وقال لهما: إن قبل البدرتين فأنتما حران، فمضيا بهما إليه فأبى أن يقبلهما، فقال: إن في قبلوهما عتق رقبانا من الرق، فقال لهما: إني أخاف أن يكون في قبولهما وهق رقبتي في النار، رداهما إليه وقولا له: إن ردهما على أخذهما منه أولى من أن يعطيني أنا.

فما أبقيت لآخرتي:

قال أبو الربيع الأعرج: دخلت على داود الطائي بيته بعد المغرب فقرب لي كسيرات يابسة، فعطشت فقمت إلى دن فيه ماء حار، فقلت: رحمك الله! لو اتخذت دفاً غير هذا يكون فيه الماء بارداً، فقال لي: إذا كنت لا أشرب إلا بارداً ولا آكل إلا طيباً ولا ألبس إلا ليناً، فما أبقيت لآخرتي قال: قلت له: أوصني، قال: صم عن الدنيا، واجعل إفطارك فيها الموت، وفر من الناس فرارك من السبع، وصاحب أهل التقوى إن صحبت فإنهم أخف مؤونة وأحسن معونة، ولا تدع الجماعة، حسبك هذا إن عملت به.

إنما يفعل هذا بالصبيان:

وقدم هارون الرشيد الكوفة فكتب قوماً من القراء فأمر لكل واحد منهم بألفي درهم فكان داود الطائي ممن كتب فيهم ودعي باسمه أين داود الطائي فقالوا: داود يجيبكم أرسلوا إليه، قال ابن السماك وحماد بن أبي حنيفة: نحن نذهب إليه، قال ابن السماك لحماد في الطريق: إذا نحن دخلنا عليه فانثرها بين يديه فإن للعين حظها، فقال حماد: رجل ليس عنده شيء يؤمر له بألفي درهم يردها!! فلما دخلوا عليه فنثروها بين يديه قال: سوءة، إنما يفعل هذا بالصبيان، وأبى أن يقبلها[1].

(1) وفيات الأعيان، 2 / 262.

رأيت خيرها كثيراً:

قال جعفر بن نفيل الرهبي: رأيت داود الطائي بعد موته فقلت له: كيف رأيت خير الآخرة قال: رأيت خيرها كثيراً، قلت: فماذا صرت إليه قال:

صرت إلى خير الحمد لله، قال فقلت له: هل لك من علم بسفيان بن سعيد فقال: كان يحب الخير وأهله فرقاه الخير إلى درجة أهل الخير.

هذا إن قبلك:

لقي رجلٌ داود الطّائي فقال: من أين يا داود وإلى أين؟ قال داود: استوحشت من الناس وأنست بالله تعالى، فقال: يا داود، هذا إن قبلك، فصاح صيحةً وخرّ مغشياً عليه ثم أفاق فقال: نبّهك الله إذ نبّهتني [1].

ولكن أحب أن أعيش في عز القناعة:

أصابت داود الطائي ضيقة شديدة، فجاءه حماد بن أبي حنيفة بأربعمائة درهم من تركه أبيه، فقال داود: هي من مال رجل ما أقدم عليه أحداً في زهده وورعه وطيب كسبه، ولو كنت قابلاً من أحد شيئاً لقبلتها إعظاماً للميت وإيجاباً للحي، ولكن أحب أن أعيش في عز القناعة [2].

أردت أن تخدعني؟:

وقال عطاء بن مسلم الحلبي: عاش داود عشرين سنة بثلاث مئة درهم ينفقها على نفسه، فأتاه ابن أخيه فقال: عم تكره التجارة؟ قال: لا، قال: فأعطني شيئاً أتجر به، قال: فأعطاه ستين درهماً وقال: فمكث شهراً ثم جاءه بعشرين ومائة درهم فقال: هذه ربحها، فقال: أنت كل شهر تربح للدرهم درهماً؟ ينبغي أن يكون عندك بيت مال، أردت أن تخدعني؟قال: فرمى بها عليه وقال: رد علي رأس مالي.

إنما طلقت نفسي من هذه الشهوات:

ودخل رجل على داود الطائي فقال: يا أبا سليمان بعت كل شيء حتى التراب، وبقيت تحت نصف سقف، فلو سويت هذا السقف فكان يكنك من الحر والبرد والمطر، فقال داود: اللهم غفراً، كانوا يكرهون فضول النظر

(1) أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي، البصائر والذخائر، 30/3، 46/8.
(2) الزمخشري، ربيع الأبرار، 1 / 3، 124، 132، 185، 305، 487، 489.

كما يكرهون فضول الكلام، يا عبد الله، اخرج عني، فقد شغلت قلبي، إنّي أبادر جفوف القلم وطي الصحيفة. قال: يا أبا سليمان، أنا عطشان، قال: اخرج واشرب، فجعل يدور في الدار لا يجد ماء، فرجع إليه فقال: يا أبا سليمان ليس في الدار حب ولا جرة، فقال: اللهم غفراً، بل هناك ماء، فخرج يلتمس فإذا دن من هذه الأصص الذي ينقل فيه الطين وخزفة أسفل كوز فأخذ تلك الخزفة فغرف بها فإذا ماء حار كأنه قد غلي لم يقدر أن يسيغه، فرجع إليه وقال: يا أبا سليمان: مثل هذا الحر؟ الناس يكادون ينسلخون من شدة الحر، ودن مدفون في الأرض وكوز مكسور فلو كانت جريرة وقلة؟ فقال داود: حب حيري وجرة مذارية وقلال منقشة، وجارية حسناء وأثاث وناض - يعني بالناض الدنانير والدراهم وفضول، لو أردت هذا الذي يشغل القلب لم أسجن نفسي ها هنا، إنما طلقت نفسي من هذه الشهوات، وسجنت نفسي حتى يخرجني مولاي من سجن الدنيا إلى روح الآخرة. فقال: يا أبا سليمان ففي هذا الحر أين تنام وليس لك سطح؟ قال إني أستحي من مولاي أن يراني أخطو خطوة ألتمس راحة نفسي في الدنيا حتى يكون مولاي هو الذي يخرجني من الدنيا[1].

ما شعرت بذلك!!:

وقال إسحاق بن خلف: كان داود الطائي - رحمه الله تعالى - على سطح في ليلة قمراء فتفكر في ملكوت السموات والأرض وهو ينظر إلى السماء ويبكي حتى وقع في دار جار له، قال: فوثب صاحب الدار من فراشه عرياناً وبيده سيف وظن أنه لص، فلما نظر إلى داود رجع ووضع السيف، وقال: من ذا الذي طرحك من السطح، قال: ما شعرت بذلك!!.

لعل تركه أن يكون أنجى:

وجاء داود الطائي أحد أصحابه بألفي درهم وقال: هذا شيء جاء الله به لم تطلبه ولم تشره له نفسك. قال داود: إنه لمن أمثل ما يأخذون قال فما يمنعك منه قال: لعل تركه أن يكون أنجى[2].

(1) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 1 / 43.
(2) بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب، 1/ 367، 388، 2 / 175.

ما يوقفك هنا؟:

وعن عبد الأعلى بن زياد الأسلمي قال: "رأيت داود الطائي يومًا قائمًا على شاطئ الفرات مبهوتًا؛ فقلت: يا أبا سليمان، ما يوقفك هنا؟ قال: انظر إلى الفلك، كيف تجري في البحر مسخرات بأمر الله تعالى؟ـــ[1].

ليس أحد أحق بمجلسي من يوسف:

قال ابن خزيمة: كان محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أعلم من رأيت بمذهب مالك، فوقع بينه وبين البويطي خلاف عند موت الشافعي، فتنازع ابن عبد الحكم والبويطي مجلس الشافعي، فقال البويطي: أنا أحق به منك، وقال الآخر كذلك.

فجاء الحميدي، وكان بمصر، فقال: قال الشافعي: ليس أحد أحق بمجلسي من يوسف، ليس أحد من أصحابي أعلم منه.

فقال ابن عبد الحكم:

كذبت.

قال: بل كذبت أنت وأبوك وأمك.

وغضب ابن عبد الحكم.

فجلس البويطي في مكان الشافعي، وجلس ابن عبد الحكم في الطاق الثالث. وترك طاقاً بين مجلس الشافعي ومجلسه، وجلس البويطي في مجلس الشافعي في الطاق الذي كان يجلس فيه [2].

وقد كان الشافعي عليه السلام آخى محمد بن عبد الحكم المصري وكان يحبه ويقربه، ويقول: ما يقيمني بمصر غيره، واعتل محمد فعاده الشافعي، فحدثني القرشي عن الربيع قال: سمعت الشافعي ينشد وقد عاد محمدا:

مرض الحبيب فعدته :: فمرضت من حذري عليه
وأتى الحبيب يعودني :: فبرأت من نظري إليه

(1) عبد الله بن محمد أبو بكر القرشي، الهم والحزن، تحقيق: مجدي فتحي السيد، الناشر: دار السلام - القاهرة، الطبعة الأولى، 1412 - 1991، ص 91.
(2) سير أعلام النبلاء، 12 / 60.

وما شك أهل مصر أن الشافعي يفوض أمر حلقته إليه، وأنه يستخلفه بعد موته ويأمر الناس بالحضور عنده، حتى سئل عن ذلك في علته فقيل له: يا أبا عبد الله إلى من نجلس بعدك، ومن يكون صاحب الحلقة، وهم يظنون أنه يشير إلى محمد فاستشرف لذلك محمد وتطاول لها، وكان جالسا عند رأسه فقال: سبحان الله أيشك في هذا أبو يعقوب البويطي، فانكسر لها محمد ووجد في نفسه ومال أصحابه إلى أبي يعقوب البويطي، وقد كان محمد حمل علم الشافعي ومذهبه وفارق مذهب مالك، إلا أن البويطي كان أزهد وأورع، فحمل الشافعي نصحه للدين والنصيحة للمسلمين، ولم يداهن في ذلك بأن وجه الأمر إلى أبي يعقوب، وآثره لأنه كان أولى، فلما قبض الشافعي رضي الله عنه إنتقل محمد ابن عبد الحكم مذهبه، وفارق أصحابه ورجع إلى مالك، وروى كتب أبيه عن مالك، وتفقه فيها، فهو اليوم من كبار أصحاب مالك رضي الله عنه.

أنت تموت في الحديد:

وما كان أبو يعقوب ليموت إلا في الحديد كيف وقد قال الربيع: كنت عند الشافعى أنا والمزنى وأبو يعقوب ، فقال لى أنت تموت في الحديث ، وقال لأبى يعقوب: أنت تموت في الحديد ، وقال للمزنى: هذا لو ناظره الشيطان لقطعه.

قال الربيع: فدخلت على البويطى أيام المحنة فرأيته مقيدا إلى أنصاف ساقيه مغلولة يداه إلى عنقه.

هذا لساني:

وقال الربيع: كان أبو يعقوب أبداً يحرك شفتيه بذكر الله تعالى، وما رأيت أحداً أنزع بحجة من كتاب الله تعالى من أبي يعقوب البويطي. وقال الربيع أيضاً: كان لأبي يعقوب منزلة من الشافعي، وكان الرجل ربما يسأله عن المسألة فيقول له: سل أبا يعقوب، فإذا أجابه أخبره فيقول: هو كما قال. وقال أيضاً: ربما جاء رسول صاحب الشرطة إلى الشافعي فيوجه أبا يعقوب البويطي ويقول: هذا لساني.

لعل الله يخلصنى بدعائهم:

وقال أبو عمرو المستملي: حضرنا مجلس محمد بن يحيى الذهلى فقرأ علينا كتاب البويطى إليه وإذا فيه والذى أسألك أن تعرض حالى على إخواننا أهل الحديث لعل الله يخلصنى بدعائهم فإنى في الحديد وقد عجزت عن أداء الفرائض من الطهارة والصلاة فضج الناس بالبكاء والدعاء له.

انظر إلى هذا الحبر رحمه الله لم يكن أسفه إلا على أداء الفرائض ، ولم يتأثر بالقيد ولا بالسجن فرضي الله عنه وجزاه عن صبره خيرا.

اللهم إنك تعلم أني قد أجبت داعيك فمنعوني:

كان أبو يعقوب البويطي، إذا سمع المؤذن وهو في السجن يوم الجمعة اغتسل ولبس ثيابه ومشى حتى يبلغ باب السجن، فيقول له السجان: أين تريد فيقول: أجيب داعي الله، فيقول: ارجع عافاك الله، فيقول أبو يعقوب: اللهم إنك تعلم أني قد أجبت داعيك فمنعوني [1].

من رأى ذاك ورأى هذا لا يغتر بالدنيا:

قال أبو الحسين بن سمعون: قال لي الشبلي: كنت باليمن وكان باب دار الإمارة رحبة عظيمة وفيها خلق كثير قيام ينظرون إلى منظرة ، فإذا قد ظهر من المنظره شخص أخرج يده كالمسلم عليهم فسجدوا كلهم ، فلما كان بعد سنين كنت بالشام وإذا تلك اليد قد اشترت لحما بدرهم وحملته فقلت له: أنت ذلك الرجل؟ قال: نعم من رأى ذاك ورأى هذا لا يغتر بالدنيا.

أجعل للصلح موضعا:

وقال الشبلي: كنت في قافلة بالشام فخرج الأعراب فأخذوها وأميرهم جالس يعرضون عليه فأخرج جرابًا فيه لوز وسكر فأكلوا منه إلا الأمير فما كان يأكل، فقلت له: لم لا تأكل؟ قال: أنا صائم. قلت: تقطع الطريق ، وتأخذ الأموال ، وتقتل النفس وأنت صائم قال: يا شيخ ، اجعل للصلح موضعا، فلما كان بعد حين رأيته يطوف حول البيت وهو محرم كالشن [2]

(1)وفيات الأعيان، 7 / 63.

(2) الشن: الخلق من كل آنية صنعت من جلد.

البالي فقلت أنت ذاك الرجل، فقال: ذاك الصوم بلغ بي إلى هذا [1].

فأجاب بثمانية عشر جوابا:

وقال الشبلي كتبت الحديث عشرين سنة وجالست الفقراء عشرين سنة وكان يتفقه لمالك وكان له يوم الجمعة نظرة ومن بعدها صيحة فصاح يوما صيحة تشوش ما حوله من الخلق وكان يجنب حلقته حلقة أبي عمران الأشيب فقال الأبي الفرج العكبري ما للناس قال حردوا من صيحتك وحرد أبو عمران وأهل حلقته فقام الشبلي وجاء إلى أبي عمران فلما رآه أبو عمران قام إليه وأجلسه إلى جنبه فأراد بعض أصحاب أبي عمران أن يرى الناس أن الشبلي جاهل فقال له يا أبا بكر إذا اشتبه على المرأة دم الحيض بدم الإستحاضة كيف تصنع فأجاب بثمانية عشر جوابا فقام أبو عمران وقبل رأسه وقال يا أبا بكر أعرف منها اثني عشر وستة ما سمعت بها قط[2].

سألتك عن الرب الذي تعبده:

- أدخل الشبلي دار المرضى ليعالج فدخل عليه علي بن عيسى الوزير عائدا فأقبل على الوزير فقال ما فعل ربك فقال الوزير: في السماء يقضي ويمضي فقال سألتك عن الرب الذي تعبده لا عن الرب الذي لا تعبده يريد الخليفة المقتدر [3].

هو ذاك:

- عن خير النساج قال كنا في المسجد فجاءنا الشبلي وهو سكران فنظرنا ولم يكلمنا فانهجم على الجنيد في بيته وهو جالس مع امرأته مكشوفة الرأس فهمت أن تغطي رأسها فقال لها الجنيد لا عليك ليس هو هناك قال فصفق على رأس الجنيد وأنشأ يقول:

عودوني الوصال والوصل عذب :: ورموني بالصد والصد صعب
زعموا حين عاتبوا أن جرمي : فرط حبي لهم وما ذاك ذنب
لا وحسن الخضوع عند التلاقي :: ما جزى من يحب إلا يحب

(1) تاريخ دمشق، 66 /52.
(2) تاريخ دمشق، 66 /54.
(3) حلية الأولياء، 10 /367.

ثم ولى الشبلي فضرب الجنيد رجليه وقال هو ذاك وخر مغشيا عليه[1].

أموات جاؤوا إلى جنازة حي:

قال أبو الحسن المالكي بطرسوس اعتل الشبلي علة شديدة فأرجفوا بموته فبادرنا إلى داره فاتفق عنده ابن عطاء وجعفر الخلدي وجماعة من كبار أصحاب الجنيد قال: فرفع رأسه فقال لهم: مالكم إيش القصة؟ قال: فقلت وكنت أجرأهم عليه: مالنا جئنا إلى جنازتك فاستوى جالسا فقال: الجوار الجوار أموات جاؤوا إلى جنازة حي ، ثم قال لهم: ويحكم أحسب أني قد مت فيكم من يقدر أن يحمل هيكلي [2].

فكيف لا أحلق لحيتي أنا على موجود:

قال أحمد بن محمد النهاوندي مات للشبلي ابن كان اسمه غالبا فجزت أمه شعرها عليه، وكان للشبلي لحية كبيرة فأمر بحلق الجميع ، فقيل له: يا أستاذ ما حملك على هذا؟ فقال جزت هذه شعرها على مفقود فكيف لا أحلق لحيتي أنا على موجود [3].

لهم تحت الثياب قبور:

قال أبو نصر: سمعت أحمد يقول حضرت الشبلي وسئل عن قول بعضهم لا تغرنكم هذه القبور وهدوها فكم من فرح مسرور وداع بالويل والثبور، فقال: أيما هي القبور عندك؟ قال: قبور الأموات. فقال: لا بل أنتم القبور ، كل واحد منكم مدفون ، فالمعرض عن الله داع بالويل والثبور ، والمقبل على الله الفرح المسرور ثم أنشأ يقول:

قبور الورى تحت التراب :: رجال لهم تحت الثياب قبور
وللهوى :

(1) حلية الأولياء، 10 /367.
(2) حلية الأولياء، 10 /368.
(3) حلية الأولياء، 10 /370.

فقلت له يا سيدي ونعد في الموتى فقال:

يحبك قلبي ما حييت فإن أمت ⁝ يحبك عظم في التراب رميم [1]

إنني بريء مما تعبدون هذه الأطعمة:

- جاء ذات يوم الشبلي إلى أبي بكر بن مجاهد وكان في مسجده غائبا فسأل عنه فقيل له هو عند علي بن عيسى فقصد دار علي فاستأذن فقيل أبو بكر الشبلي يستأذنك فقال أبو بكر بن مجاهد لعلي بن عيسى اليوم أريك من الشبلي عجبا فلما دخل وقعد قال له أبو بكر بن مجاهد يا أبا بكر أخبرت أنك تحرق الثياب والخبز والأطعمة وما ينتفع به الناس من منافعهم ومصالحهم أين هذا من العلم والشرع فقال له قول الله: " فطفق مسحا بالسوق والأعناق " أين هذا من العلم فسكت أبو بكر بن مجاهد وقال لعلي كأني لم أقرأها قط وبلغني عن غيره أنهم عاتبوه في مثله فتلا هذه الآية: " إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم " وتلا إنني بريء مما تعبدون هذه الأطعمة وهذه الشهوات حقيقة الخلق ومعبودهم أبرأ منهم وأحرقه [2].

من أسعد أصحابك بصحبتك؟:

قال أبو العباس محمد بن الحسن الخشاب: سمعت بعض أصحاب الشبلي يقول رأيت الشبلي في المنام فقلت له يا أبا بكر من أسعد أصحابك بصحبتك فقال أعظمهم لحرمات الله وألهجهم بذكر الله وأقومهم بحق الله وأسرعهم مبادرة في مرضات الله وأعرفهم بنقصانه وأكثرهم تعظيما لما عظم الله من حرمة عباده قال الشيخ ذكر جماعة من أعلام العارفين أدركنا أيامهم انتشرت في العالم أحوالهم لاعتصامهم بالشرع المتين فكانوا به عالمين وعاملين وبمعالي الأحوال عارفين قائمين وبمكارم الأخلاق متمسكين آخذين ذكرت عن كل واحد منهم نبذا مما نقل إلينا من أقوالهم الحميدة وأحوالهم الشديدة [3].

(1) حلية الأولياء، 10 /370.
(2) حلية الأولياء، 10 /374.
(3) حلية الأولياء 10 /375.

ما أعزك أحد إلا أذله الله!:

ويروي انه قال: " كنت يوماً جالساً، فجرى بخاطري أني بخيل، فقلت: أنا بخيل؟! فقاومني خاطري، وقال: بلا!، انك بخيل!. فقلت: مهما فتح على اليوم، لأدفعنه إلى أول فقير يلقاني!. قال: بينا أنا أتفكر، إذ دخل على صاحب لمؤنس الخادم، ومعه خمسون ديناراً، فقال: اجعل هذه في مصالحك "، فأخذتها وخرجت. وإذا بفقير مكفوف، بين يدي مزين، يحلق رأسه، فتقدمت إليه، وناولته الصرة، فقال لي: أعطها للمزين ". فقلت: " أنها دنانير! "، فقال: " أو ليس قد قلنا انك بخيل؟! "، فناولتها للمزين: " من عاداتنا أن الفقير إذا جلس بين أيدينا لا نأخذ منه أجراً ". قال: فرميتها في دجلة فقلت: " ما أعزك أحد إلا أذله الله! ".

فأيش كانت بضاعتك؟:

ورؤى الشبلي في جامع المدينة قد كثر الناس عليه في الرواق الوسطاني، وهو يقول: " رحم الله عبدا، ورحم والديه دعا لرجل كانت له بضاعة، وقد فقدها؛ وهو يسأل الله ردها! " والناس صموت. فخرق الحلقة غلام حدث، وقال: " من هو صاحب البضاعة؟ "، الشبلي: " أنا! " قال: " فأيش كانت بضاعتك؟ "، قال: " الصبر، وقد فقدته! " فبكى الناس بكائاً عظيماً ".

أمجنون أنت؟!:

وقيل ضاق صدره يوماً ببغداد، فانحدر إلى البصرة، فلما ضاق صدره خرج لوقته، فلما قرب من دار الخليفة، إذا جار تغني بين يدي الخليفة:

أيا قادماً من سفرة الهجر، أنا ذاك، لا أنساك، ما هب الصبا
مرحباً كئيباً حزيناً بالصبابة متعبا
قدمت على قلبي، كما قد تركته

فصاح صيحة، ووقعت مغشياً عليه، فقال الخليفة: " ألحقوه واحملوه! " فحمل أليه، فقال له: " أمجنون أنت؟! ". قال: " يا أمير المؤمنين! كان من أمري كيت وكيت، فتحيرت في أمري " فبكى الخليفة لما رأى من حرقته.

ووجهك أن رأيتُ شفاء دائي:

وآخر يوماً العصر، ونظر الشمس وقد نزلت للغروب، فقال: " الصلاة ياسادتي! " وقام فصلى، وانشأ يقول مداعباً وهو يضحك: " ما احسن من قال:

نسيت اليوم من عشقي صلاتي :: فلا ادري عشائي من غدائي
فذكرك سيدي أكلي وشربي :: ووجهك أن رأيتُ شفاء دائي (1)

سيكون لي غداً مع هذا الشيخ شأن!:

قال بكير الدينوري " وجد الشبلى خفة - في يوم جمعة - من وجع كان به، فأمر بمضيه إلى الجامع، فراح إليه متكئاً، فتلقاه رجل مقبل من الرصتفة، فقال: " سيكون لي غداً مع هذا الشيخ شأن! ". فصلينا ثم غدونا، فتناول شيئاً من الغداء، فلما كان الليل مات. فقيل لي: " في درب السقايين رجل يغسل الموتى " فدلوني عليه في السحر، فأتيته فدققت الباب خفيفاً فقلت: " سلام عليك "، فقال: مات الشبلى؟ "، قلت: " نعم! " فخرج إلى، فإذا به الشيخ، فقلت: " لا إله إلا الله! " فقال: " لا اله إلا الله، تعجبا مم؟ " قال:

" قال لى الشبلى أمس - لما وجدناك -: " غداً يكون لي مع هذا شأن. بحق معبودك!، من أين لك أن الشبلى قد مات؟. قال: " يا ابله! فمن أين للشبلى أن يكون له معي اليوم شأن؟ "(2).

فأخرجه من البيت:

- جاء رجل الى الشبلى يشكو إليه كثرة العيال، فقال: ارجع إلى بيتك فمن وجدت منهم ليس رزقه على الله، فأخرجه من البيت.

(1) طبقات الأولياء، ص 35.
(2) طبقات الأولياء، ص 36.

أي صبر أشد على الصابرين:

- وقف رجل على الشبلى فقال: أي صبر أشد على الصابرين؟ قال الشبلى: الصبر في الله تعالى. فقال: لا. قال: فالصبر لله. فقال: لا. قال: فالصبر مع الله تعالى. فقال: لا قال فأى شيء؟ قال: الصبر عن الله ، فصرخ الشبلى صرخة عظيمة ووقع.

بم يبعد المرء من ربه ويخذل عن أمره؟:

- وقام إلى الشبلي رجل فقال: بم يبعد المرء من ربه ويخذل عن أمره؟ فزعق زعقة ثم أنشد:

من لم يكن للوصال أهلاً :: فكلّ إحسانه ذنوب

- سنة التوفيق أجدى من يقظة الرؤية، وقليل النجح خير من كثير من الجهد.

فلاناً يعيب الباذنجان:

وحكي أن الشبلي رئي يوماً على الجسر، وكان يوماً مطيراً، فقيل له: إلى أين؟ فقال: بلغني أن فلاناً يعيب الباذنجان فأريد أن أمر عليه فأخاصمه.

وضيعت العمر وليس له بدل:

وأوصى الشبلي رحمه الله أن يكتب على قبره: تركت الجنة وليس لي قيمة وتعلقت بالدنيا وليس لها بقاء، وضيعت العمر وليس له بدل واتبعت النساء وليس لهن وفاء، وجفوت الرب وليس منه عوض.

وإنما أرسلت المريض إلى الطبيب:

مرض الشبلي فأرسل الخليفة إليه طبيبا فعالجه فازداد مرضه فقال يا شيخ المسلمين لو علمت أن شفائك في قطع عضو من أعضائي لفعلت فقال شفائي في قطع زنارك فقطعه وأسلم فوثب الشبلي كأن لم يكن به مرض فقال الخليفة ظننت أني أرسلت الطبيب إلى المريض وإنما أرسلت المريض إلى الطبيب..

إنك لتحب الدنيا:

- وقال له رجل: " إنك لتحب الدنيا "، فقال: " أين السائل عن الآخرة؟

" قال " ها أنا! "، قال: اخبرني أيها السائل عنها، أبالطاعة تنال أم بالمعصية؟ ". قال: لا، بل بالطاعة " قال: " فأخبرني عن الطاعة، أبالحياة تنال، أم بالممات؟ " قال: " لا، بل بالحياة " قال: " فأخبرني عن الحياة، أبالقوت تنال، أم بغيره؟ " قال: " لا، بل بالقوت " قال: " فأخبرني عن القوت، أمن الدنيا هو، أم من الآخرة؟ " قال: " لا، بل من الدنيا "، قال: " فكيف لا أحب دنيا قدر لي فيها قوت، اكتسب به حياة، أدرك بها طاعة، أنال بها الآخرة؟! ". فقال الرجل: " أشهد أن ذلك معنى قول النبي ﷺ :"**إن من البيان لسحرا**-[1].

ما تقول فينا أهل البيت:

ودخل على علوي ببلخ زائراً له ومسلماً عليه فقال له العلوي: أيد الله الأستاذ، ما تقول فينا أهل البيت قال: ما أقول في طين عجن بماء الوحي، وغرس بماء الرسالة، فهل يفوح منهما إلا مسك الهدى وعنبر التقى فحشى العلوي فاه بالدر، ثم زاره من الغد، فقال يحيى بن معاذ: إن زرتنا فبفضلك وإن زرناك فلفضلك، فلك الفضل زائراً ومزوراً [2].

أخرج ما في الجيب حتى نعطيك من الغيب:

قال أبو زكريا يحيى بن معاذ الرازي: " بدء أمري في سياحتي حيث خرجت من الري، فوقع في قلبي شأن المؤنة، والنفقة، فتفكرت في نفسي، فإذا بهاتف يهتف في قلبي: أخرج ما في الجيب حتى نعطيك من الغيب "

ألا قلت له مع من هجرهم فيه:

قال أ بو بكر بن طاهر: كان ليحيى بن معاذ أخ يقال له إسماعيل وكان أكبر منه قال رجل مع من يريد أن يعيش أخوك يحيى وقد هجر الخلق قال فذكر ذلك ليحيى فقال له يحيى ألا قلت له مع من هجرهم فيه.

---

(1) طبقات الأولياء، ص 55.

(2) وفيات الأعيان، 6 /167.

فانظر ما همومك ياهشام:

قال جعفر وكنت عند مالك بن دينار فجاء هشام بن حسان وكان يأتيه هشام بن حسان وسعيد بن أبى عروبه وحوشب يطلبون قلوبهم فجاء هشام فقال أين أبو يحيى قلنا عند البقال قال قوموا بنا إليه قال فحانت منه نظرة إلى هشام فقال يا هشام إنى أعطى هذا البقال كل شهر درهما ودانقين فآخذ منه كل شهر ستين رغيفا كل ليله رغيفين فإذا أصبتهما سخنا فهو ادمهما يا هشام إنى قرأت في زبور داود إلهى رأيت همومى وأنت من فوق العلى فانظر ما همومك ياهشام[1].

وأخرجوا الدنيا من قلوبكم:

عن مالك بن دينار قال إن الله جعل الدنيا دار مفر والآخرة دار مقر فخذوا لمقركم من مفركم وأخرجوا الدنيا من قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم ولاتهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم ففى الدنيا حييتم ولغيرها خلقتم إنما مثل الدنيا كالسم أكله من لايعرفه واجتنبه من عرفه ومثل الحيه مسها لين وفي جوفها السم القاتل يحذرها ذوو العقول ويهوى إليها الصبيان بأيديهم[2].

إن الثكلى لاتحتاج إلى نائحة:

قال جعفر قلنا لمالك بن دينار ألاتدعو قارئا قال إن الثكلى لاتحتاج إلى نائحة فقلنا له ألا تستسقى فقال أنتم تستبطئون المطر لكنى أستبطئ الحجارة[3].

لولا البول ماخرجت من المسجد:

وسمعته يقول: يا أخوتاه، بحق أقول لكم لولا البول ماخرجت من المسجد[4].

---

(1) صفةالصفوة، 284/3.
(2) صفةالصفوة، 285/3.
(3) صفةالصفوة، 285/3.
(4) صفةالصفوة، 286/3.

أفر بديني من شاهق إلى شاهق:

قال سفيان بن عيينة: رأيت إبراهيم بن أدهم في جبال الشام، فقلت: يا إبراهيم تركت خراسان؟ فقال: ما تهنأت بعيشي إلا هنا، أفر بديني من شاهق إلى شاهق [1].

لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور لجالدونا بالسيوف:

حدثنا إبراهيم بن بشار، قال: خرجت أنا وإبراهيم بن أدهم، وأبو يوسف الغسولي، وأبو عبد الله السنجاري نريد الإسكندرية، فمررنا بنهر يقال له نهر الأردن، فقعدنا نستريح، وكان مع أبي يوسف كسيرات يابسات، فألقاها بين أيدينا فأكلناها وحمدنا الله تعالى، فقمت أسعى أتناول ماء لإبراهيم، فبادر إبراهيم فدخل النهر حتى بلغ الماء إلى ركبته، فقال بكفيه في الماء فملأها، ثم قال: (بسم الله) وشرب الماء، ثم قال: (الحمد لله)، ثم ملأ كفيه من الماء وقال: (بسم الله) وشرب، ثم قال: (الحمد لله)، ثم إنه خرج من النهر فمد رجليه، ثم قال: يا أبا يوسف، لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور لجالدونا بالسيوف أيام الحياة على ما نحن فيه من لذيذ العيش وقلة التعب، فقلت: يا أبا إسحاق، طلب القوم الراحة والنعيم، فأخطأوا الطريق المستقيم. فتبسم، ثم قال: من أين لك هذا الكلام؟! [2].

أمّا نحن فقد استوفينا أجورنا:

فلما أكلنا قلت لرفيقه: أخبرني عن أشد شيء مر بك منذ صحبته.

قال: نعم، كنّا يوماً صياماً، فلمّا كان الليل لم يكن لنا ما نفطر عليه، فلمّا أصبحنا قلت، يا أبا إسحاق، هل لك في أن نأتي الرَّستن فنكري أنفسنا مع الحصّادين قال: نقم، فأتينا باب الرَّستن، فجاء رجل فاكتراني بدرهم فقلت: وصاحبي، قال: لا حاجة لي فيه، أراه ضعيفاً، فما زلت به حتى اكتراه بثلثين، فحصدنا يومنا، وأخذت كرائي، فأتيت به، فاشتريت

(1) بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، الكشكول، 164/2.

(2) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الخطيب، المنتخب من كتاب الزهد والرقائق، 1 / 134.

حاجتي،) وتصدّقت بالباقي، فيهيأته، وقدمته إليه، فلمّا نظر إليه بكى، قلت، ما يبكيك قال: أمّا نحن فقد استوفينا أجورنا، فليت شعري أوفينا صاحبنا أم لا قال: فغضبت، قال: ما يغضبك أتضمن لي أنَّا وفيناه فأخذت الطعام فتصدّقت به[1].

لو أمكنني أن أطلِّق نفسي لفعلت:

قال ضمرة: سمعت إبراهيم بن ادهم قال: أخاف أن لا يكون لي أجر في تركي أطايب الطعام، لأنّي لا أشتهيه، وكان إذا جلس على طعام طيّب رمى إلى أصحابه، وقنع بالخبز والزيتون.

قال رجل لإبراهيم بن ادهم: لو تزوَّجت، فقال: لو أمكنني أن أطلِّق نفسي لفعلت[2].

صيّر مالي وماله واحداً:

دخل إبراهيم بن ادهم الجبل بفأس، فاحتطب ثم باعه، واشترى به ناطفاً، وقدّمه إلى أصحابه فقال: كلوا كأنَّكم تأكلون في رهن.

قال عصام بن داود بن الجرّاح: كنت ليلة مع إبراهيم بن أدهم بالثغر، فأتاه رجل بباكورة، فنظر حوله هل يرى ما يكافيه، فنظر إلى سرجي فقال، خذ ذاك السَّرج، فأخذه، فما داخلني سرور قطّ مثله حين علمت أنّه صيّر مالي وماله واحداً.

ما إيّاك عنيت:

قيل لإبراهيم بن ادهم: ما يبلغ من كرامة المؤمن على الله قال: أن تقول للجبل تحرّك فيتحرّك، قال: فتحرّك الجبل، فقال: ما إيّاك عنيت[3].

ليس إيّاك أردت:

قال عيسى بن حازم الَّنيسابوريّ: كنّا مع إبراهيم بن أدهم بمكة، فنظر إلى أبي قبيس فقال: لو أنّ مؤمناً مستكمل الإيمان هزّ الجبل لزال، فتحرّك

(1) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 48/10.
(2) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 48/10.
(3) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 50/10.

أبو قبيس، فقال: إبراهيم: اسكن، ليس إيّاك أردت[1].

وقال هلك أصحاب الأثقال:

قال عبدالملك بن قريب حدثني رجل صالح من أهل البصرة قال وقع حريق في بيت مالك بن دينار فأخذ المصحف وأخذ القطيفة فأخرجهما فقيل له يا أبا يحيى البيت فقال ما فيه إلا السندانة ما أبالي أن يحترق قال الدورقي وذكر عبد الله بن المبارك قال وقع حريق بالبصرة فأخذ مالك بن دينار بطرف كسائة وقال هلك أصحاب الاثقال[2].

فإنّا مملوكان لأبيك:

بينما إبراهيم بن أدهم يحصد وقف عليه رجلان معهما ثقل، فسلّما عليه وقالا: أنت إبراهيم بن أدهم قال: نعم، قالا: فإنّا مملوكان لأبيك ومعنا مال ووطاء، فقال: ما أدري ما تقولان، فإن كنتما صادقين فأنتما حرّان والمال لكما، لا تشغلاني عن عملي[3].

مالي فيها حاجة:

قال خلف بن تميم، سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: يجيئني الرجل بالدنانير فأقول: مالي فيها حاجة، ويجيئني بالفرس فأقول: مالي فيه حاجة، ويجيئني ذا، فلما رأى القوم أنّي لا أنافسهم في دنياهم أقبلوا ينظرون إليّ كأنّي دابة من الأرض، أو كأني آية، ولو قبلت منهم لأبغضوني، ولقد أدركت أقواماً ما كانوا يحمدون على ترك هذه الفضول[4].

من عرف نفسه اشتغل بنفسه عن غيره:

قال خلف بن تميم: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: من تعوّد أفخاذ النساء لم يفلح. يحيى بن آدم: سمعت شريكاً يقول: سألت إبراهيم بن أدهم عمّا كان بين عليّ ومعاوية رضي الله عنه، فبكى، فندمت على سؤالي إيّاه، فرفع رأسه فقال، من عرف نفسه اشتغل بنفسه عن غيره، ومن عرف ربّه اشتغل بربه عن غيره.

(1) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 50/10.
(2) صفةالصفوة، 281/3.
(3) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 55/10.
(4) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 56/10.

وعن إبراهيم قال: حبٌّ لقاء الناس من حبّ الدنيا، وتركهم ترك الدنيا[1].

اهربوا من الناس كهربكم من السبع الضّاري:

قال إبراهيم بن بشّار: أوصانا إبراهيم بن أدهم: اهربوا من الناس كهربكم من السبع الضّاري، ولا تخلَّفوا عن الجمعة والجماعة[2].

هكذا كلاب بلخ!:

وقال إبرهيم لشقيق: " علام أصلتم أصولكم؟ " فقال: " إذا رزقنا أكلنا، وإذا منعنا صبرنا ". فقال إبرهيم: " هكذا كلاب بلخ! إذا رزقت أكلت، وإذا منعت صبرت. أنا أصلنا أصولنا على إنا إذا رزقنا آثرنا، وإذا منعنا حمدنا وشكرنا ". فقام شقيق، وقعد بين يديه وقال: " أنت أستاذنا! "[3].

مات وكفن في الملاءتين:

عن إبراهيم بن أدهم قال: حدثني رفيقة قال: خرجت مع إبراهيم بن أدهم من بيت المقدس، فنفذ زادنا في الطريق، فجعلنا نأكل الخرنوب وعروق الشجر حتى خشنت حلوقنا، وبلغ منا الجهد، فقلت: ندخل القرية عسى نطلب عملا فإذا في القرية نهر فتوضأ وصف قدميه فدخلت ألتمس فتقبلت من قوم حائطا قد سقط أجره بأربعة دراهم فقلت: قد تقبلت عملا فجعل يعمل عمل الرجال، وأعمل عملا ضعيفا فجاؤونا بغداء فغسلت يدي أبادر الطعام، فقال: لي هذا في شرطك بعد ما تعالى النهار، فقلت: لا. قال: فاصبر حتى تأخذ كراك وتشتري، قال: فلما فرغنا أخذنا الدراهم واشترينا وأكلنا وطعمنا ثم خرجنا فأصابنا في الطريق الجوع، فأتينا قرية من قرى حمص، فإذا ساقية ماء فتوضأ للصلاة وصف قدميه وإذا إلى جانبنا دار فيها غرفة فبصر بنا صاحب الغرفة حين نزلنا ولم نطعم فبعث إلينا بجفنة فيها ثريد وخبز عراق فوضعت بين أيدينا فانفتل من الصلاة فقال: من بعث؟ فقلت: صاحب المنزل. قال: ما اسمه؟ قلت: فلان ابن فلان فأكل وأكلت، ثم أتينا عمق إنطاكية، وقد حضر الحصاد فحصدنا بنحو ثمانين

(1) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 57/10.
(2) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 58/10.
(3) ابن الملقن، طبقات الأولياء، 1 / 1.

درهما، فقلت: آخذ نصف هذه، وأرجع ما بي قوة على صحبته، فقلت: إني أريد الرجوع إلى بيت المقدس. قال: ما أنت لي مصاحبا فدخل إنطاكية، واشترى ملاءتين من تلك الدراهم، فقال: إذا أتيت قرية كذا وكذا التي أطعمنا فيها فسل عن فلان ابن فلان وادفع اليه الملاءتين ودفع إلى بقية الدراهم وبقي ليس معه شيء فدفعت الملاءتين إلى الرجل، فقال: من بعث بها قلت إبراهيم بن أدهم، فقال: ومن إبراهيم بن الأدهم، فأخبرته أنه كان أحد الرجلين اللذين بعث إليهما بالطعام فأخذهما ومضيت إلى بيت المقدس فأقمت حينا فرجعت وسألت عن الرجل فقيل لي مات وكفن في الملاءتين[1].

قال أحمد بن فضيل العكي رأيت إبراهيم بن أدهم إذا حصد يحصد ويستعين معه الضعفاء فيسبقهم في أمانه يعني الموضع فيحصده ثم يشير إلى أصحابه أن اجلسوا ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يرجع إلى ما في أيديهم فيحصده دونهم وهم جلوس ثم يصلي ركعتين ثم يرجع إلى أمانه فيحصده[2].

مخافة أن أكون كأجير السوء:

قال محمد بن إسحاق الشمشاطي سمعت ذا النون يقول بينما أنا أسير في جبال أنطاكية وإذا أنا بجارية كانها مجنونة وعليها جبة من صوف فسلمت عليها فردت السلام ثم قالت أسألك مسألة قلت سليني قالت أي شيء السخاء قلت البذل والعطاء قالت هذا السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين قلت المسارعة إلى طاعة المولى قالت فإذا سارعت إلى طاعة المولى تحب منه خيرا قلت نعم للواحد عشرة قالت مر بإبطال هذا هذا في الدين قبيح ولكن المسارعة الى طاعة المولى ان يطلع الى قلبك وأنت لا تريد منه شيئا بشيء ويحك يا ذا النون إني أريد أن أقسم عليه في طلب شهوة منذ عشرين سنة فاستحيي منه مخافة أن أكون كأجير السوء إذا عمل طلب الأجر ولكن أعمل تعطيما لهيبته وعز جلاله قال ثم مرت وتركتني[3].

(1) أبو نعيم، حلية الأولياء، 374/7.
(2) أبو نعيم، حلية الأولياء، 7 / 374.
(3) حلية الأولياء، 9 /340.

حب ربك سبحانه واشتق إليه:

قال ذو النون بينما أنا في بعض مسيري إذ لقيتني امرأة فقالت لي من أين أنت قلت رجل غريب فقالت لي ويحك وهل يوجد مع الله أحزان الغربة وهو مؤنس الغرباء ومعين الضعفاء قال فبكيت فقالت لي ما يبكيك قلت وقع الدواء على داء قد قرح فأسرع لي نجاحه قالت فإن كنت صادقا فلم بكيت قلت والصادق لا يبكي قالت لا قلت ولم قالت لأن البكاء راحة للقلب وملجأ يلجأ إليه وما كتم القلب شيئا أحق من الشهيق والزفير فإذا أسبلت الدمعة استراح القلب وهذا ضعف الأطباء بإبطال الداء قال فبقيت متعجبا من كلامها فقالت لي مالك قلت تعجبت من هذ الكلام قالت وقد نسيت القرحة التي سألت عنها قلت لا ما أنا بالمستغني عن طلب الزوائد قالت صدقت حب ربك سبحانه واشتق إليه فإن له يوما يتجلى فيه على كرسي كرامته لأوليائه وأحبائه فيذيقهم من محبته كأسا لا يظمأون بعده أبدا قال ثم أخذت في البكاء والزفير والشهيق وهي تقول سيدي إلى كم تخلفني في دار لا أجد فيها أحدا يسعفني على البكاء أيام حياتي ثم تركتني ومضت[1].

ألا إن الله عز وجل شفعهم في كل من حج:

قال شقيق بن إبراهيم: بينا أنا ذات ليلة نائم حيال الكعبة في المسجد الحرام إذ رأيت في منامي ملكين أتياني فوقفا علي، فقال أحدهما لصاحبه: كم حج العام؟ قال له صاحبه: حج ثلاثة: فلان وفلان، وفلان يقال له شقيق. قال: لا، شقيق عليه فضل ثوب. قال: فلما كان قابل حججت في عباء، فبينا أنا راقد في المسجد الحرام رأيتهما في منامي، فقال أحدهما لصاحبه: كم حج العام فقال: ثلاثة فلان وفلان وشقيق، ألا إن الله عز وجل شفعهم في كل من حج.

(1) حلية الأولياء، 9 /340.

قد علمت ما كان مني يا أمل المؤملين:

قال محمد بن أحمد الشمشاطي سمعت ذا النون المصري يقول بينا أنا سائر على شاطئ نيل مصر إذا أنا بجارية تدعو وهي تقول في دعائها: يا من هو عند ألسن الناطقين، يا من هو عند قلوب الذاكرين، يا من هو عند فكرة الحامدين، يا من هو على نفوس الجبارين والمتكبرين قد علمت ما كان مني يا أمل المؤملين، قال: ثم صرخت صرخة خرت مغشيا عليها.

واطلب دواءك ممن ابتلاك:

وقال ذو النون دخلت إلى سواد نيل مصر فجاءني الليل فقمت بين زروعها فإذا أنا بامرأة سوداء قد أقبلت إلى سنبلة ففركتها ثم امتنعت عليها فتركتها وبكت وهي تقول يا من بذره حبا يابسا في أرضه ولم يك شيئا أنت الذي صيرته حشيشا ثم أنبته عودا قائما بتكوينك وجعلت فيه حبا متراكبا ودورته فكونته وأنت على كل شيء قدير وقالت عجبت لمن هذه مشيئته كيف لا يطاع وعجبت لمن هذا صنعه كيف يشتكي فدنوت منها فقلت من يشكو أمل المؤملين فقالت لي أنت يا ذا النون إذا اعتللت فلا تجعل علتك إلى مخلوق مثلك واطلب دواءك ممن ابتلاك وعليك السلام لا حاجة لي في مناظرة الباطلين ثم أنشأت تقول:

وكيف تنام العين وهي قريرة ... ولم تدر في أي المحلين تنـزل

اطلبوا لأنفسكم مثل ما وجدت أنا:

قال أبو بكر محمد بن خلف المؤدب وكان من خيار عباد الله رأيت ذا النون المصري على ساحل البحر عند صخرة موسى فلما جن الليل خرج فنظر إلى السماء والماء فقال: سبحان الله ما أعظم شأنكما بل شأن خالقكما أعظم منكما ومن شأنكما فلما تهور الليل لم يزل ينشد هذين البيتين إلى أن طلع عمود الصبح:

اطلبوا لأنسكم مثل ما وجدت أنا ... قد وجدت لي سكنا ليس هو
في هواه عنا إن بعدت قربني ... أو قربت منه دنا

أنشد العباس بن أحمد لذي النون المصري:

إذا ارتحل الكرام إليك يوما ... ليلتمسوك حالا بعد حال
فإن رحالنا حطت لترضي ... بحلمك عن حلول وارتحال
أنخنا في فنائك يا إلهي ... إليك معرضين بلا اعتلال
فسسنا كيف شئت ولا تكلنا ... إلى تدبيرنا ياذا المعالي (1)

قد كان لي قلب فقدته:

قال أحمد بن عيسى الوشاء سمعت أبا عثمان سعيد بن الحكم يقول سمعت أبا الفيض ذا النون بن إبراهيم يقول بينما أنا أسير ذات ليلة ظلماء في جبال بيت المقدس إذ سمعت صوتا حزينا وبكاء جهيرا وهو يقول يا وحشتاه بعد أنسنا يا غربتاه عن وطننا وافقراه بعد غنانا واذلاه بعد عزنا فتبعت الصوت حتى قربت منه فلم أزل أبكي لبكائه حتى إذا أصبحنا نظرت إليه فإذا رجل ناحل كالشن المحترق فقلت يرحمك الله تقول مثل هذا الكلام فقال دعني فقد كان لي قلب فقدته ثم أنشأيقول:

قد كان لي قلب أعيش به ... بين الهوى فرماه الحب فاحترقا

فقلت له:

لم تستكي ألم البلا ... وأنت تنتحل المحبة
إن المحب هو الصبو ... ر على البلاء لمن أحبه
حب الإله هو السرو ... ر مع الشفاء لكل كربه (2)

(1) حلية الأولياء، 9 /344.
(2) حلية الأولياء، 9 /345.

كم تقول: عزلتي أنسي:

قال الجنيد: قال لي الحارث: كم تقول: عزلتي أنسي، لو أن نصف الخلق تقربوا مني، ما وجدت لهم أنسا، ولو أن النصف الآخر نأوا عني، ما استوحشت.

ورؤية الشهوات:

قال سمعت الجنيد بن محمد يقول كان الحارث المحاسبي يجيء إلى منزلنا ويقول أخرج معنا نصحر فأقول له تخرجني من عزلتي وأمني على نفسي إلى الطرقات والآفات ورؤية الشهوات فيقول أخرج معي ولا خوف عليك فاخرج معه فكأن الطريق فارغ من كل شيء لا نرى شيئا نكرهه فإذا حصلت في المكان الذي يجلس فيه قال لي سلني فأقول له ما عندي سؤال أسألك فيقول لي سلني عما يقع في نفسك فتنثال على السؤالات فاسأله عنه فيجيبني عنها للوقت ثم يمضي إلى منزله فيعملها كتبا.

ما استوحشت لبعدهم:

قال وسمعت الجنيد يقول كنت كثيرا أقول للحارث عزلتي أنسى تخرجني إلى وحشة رؤية الناس والطرقات فيقول لي كم انسى وعزلتي لو أن نصف الخلق تقربوا مني ما وجدت بهم أنسا ولو أن النصف الآخر ناء عني ما استوحشت لبعدهم [1].

كيف رأيت هؤلاء يا أبا عبد الله؟:

قال إسماعيل بن إسحاق السراج: قال لي أحمد بن حنبل يوما يبلغني أن الحارث هذا يعني المحاسبي يكثر الكون عندك فلو أحضرته منزلك وأجلستني من حيث لا يراني فأسمع كلامه فقلت السمع والطاعة لك يا أبا عبد الله وسرني هذا الابتداء من أبي عبد الله فقصدت الحارث وسألته أن يحضرنا تلك الليلة فقلت وتسل أصحابك أن يحضروا معك فقال يا إسماعيل فيهم كثرة فلا تزدهم على الكسب والتمر وأكثر منهما ما استطعت ففعلت ما أمرني به وانصرفت إلى أبي عبد الله فأخبرته فحضر بعد المغرب وصعد غرفة في الدار فاجتهد في ورده إلى أن فرغ وحضر

(1) تاريخ بغداد، 8 /213.

الحارث وأصحابه فأكلوا ثم قاموا لصلاة العتمة ولم يصلوا بعدها وقعدوا بين يدي الحارث وهو سكوت لا ينطق واحد منهم إلى قريب من نصف الليل فابتدأ واحد منهم وسأل الحارث عن مسألة فأخذ في الكلام وأصحابه يستمعون وكأن على رؤوسهم الطير فمنهم من يبكي ومنهم من يزعق وهو في كلامه فصعدت الغرفة لأتعرف حال أبي عبد الله فوجدته قد بكى حتى غشي عليه فانصرفت إليهم ولم تزل تلك حالهم حتى أصبحوا فقاموا وتفرقوا فصعدت إلى أبي عبد الله وهو متغير الحال فقلت كيف رأيت هؤلاء يا أبا عبد الله فقال ما أعلم أني رأيت مثل هؤلاء القوم ولا سمعت في علم الحقائق مثل كلام هذا الرجل وعلى ما وصفت من أحوالهم فاني لا أرى لك صحبتهم ثم قام وخرج [1].

ما أسرع الناس إلى البدع:

قال سعيد بن عمرو البرذعي: شهدت أبا زرعة وسئل عن الحارث المحاسبي وكتبه فقال للسائل إياك وهذه الكتب هذه كتب بدع وضلالات عليك بالأثر فإنك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب قيل له في هذه الكتب عبرة قال من لم يكن له في كتاب الله عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة بلغكم أن مالك بن أنس وسفيان الثوري والأوزاعي والأئمة المتقدمين صنفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس وهذه الأشياء هؤلاء قوم خالفوا أهل العلم يأتونا مرة بالحارث المحاسبي ومرة بعبد الرحيم الديبلي ومرة بحاتم الأصم ومرة بشقيق ثم قال ما أسرع الناس إلى البدع [2].

فتبسم ثم مات:

قال جعفر بن أخي أبي ثور حضرت وفاة الحارث يعني المحاسبي فقال إن رأيت ما أحب تبسمت اليكم وإن رأيت غير ذلك تبينتم في وجهي قال فتبسم ثم مات [3].

(1) تاريخ بغداد، 8 /214.
(2) تاريخ بغداد، 8 /214.
(3) تاريخ بغداد، 8 /215.

اغرب من بين يدى فلا أراك:

عن مالك بن دينار أنه كان يقول إن الله عز وجل إذا أحب عبدا انتقصه دنياه وكف عنه ضيعته ويقول لا تبرح من بين يدى قال فهو متفرغ لخدمة ربه عز وجل وإذا أبغض عبدا دفع في نحره شيئا من الدنيا ويقول اغرب من بين يدى فلا أراك بين يدى فتراه معلق القلب بأرض كذا وبتجارة كذا[1].

لبادرتكم إليه:

عن مالك بن دينار قال والله لو وقف ملك بباب المسجد وقال يخرج شر من في المسجد لبادرتكم إليه [2].

هذا والله الكسب الحلال:

قال رياح بن عمرو القيسى سمعت مالك بن دينار يقول دخل على جابر بن زيد وأنا أكتب فقال يا مالك مالك عمل إلا هذا تنقل كتاب الله عز وجل من ورقة إلى ورقة هذا والله الكسب الحلال.

جعفر بن سليمان قال سمعت مالك بن دينار يقول كفى بالمرء خيانة أن يكون أمينا للخونة وكفى بالمرء شرا أن لا يكون صالحا ويقع في الصالحين[3].

سواء علي أكلت من رطبكم أو لم آكل:

ويقال: إن مالك بن دينار مكث بالبصرة أربعين سنة ما صح له أن يأكل من تمر البصرة ولا من رطبها حتى مات ولم يذقه وكان إذا انقضى أوان الرطب يقول يا أهل البصرة هذا بطني ما نقص منه شي ء سواء علي أكلت من رطبكم أو لم آكل[4].

---

(1) صفةالصفوة، 281/3.

(2) صفةالصفوة، 282/3.

(3) صفةالصفوة، 282/3.

(4) أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد المدائني، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - 1418هـ - 1998م، 3201/1.

هذا كان جليسك، أفلا نصحته؟:

كان يجلس مع سفيان الثوري رجل ضرير، فإذا كان شهر رمضان يخرج إلى السواد فيصلي بالناس، فيكسى ويعطى، فقال سفيان : إذا كان يوم القيامة أثيب أهل القرآن من قراءتهم، ويقال لمثل هذا : قد تعجلت ثوابك في الدنيا فقال: يا أبا عبد الله تقول لي هذا وأنا جليس لك؟ قال: إنّي أخاف أن يقال لي يوم القيامة: هذا كان جليسك، أفلا نصحته؟[1].

كيف طرحت الدرهم في الطين؟:

عن مالك بن دينار أنه حضر رجلاً يبني داراً، وهو يعطي الأجراء الدراهم، فمد يده فأعطاه درهما، فطرحه في الطين، فتعجب الرجل وقال: كيف طرحت الدرهم في الطين؟ فقال مالك: أعجب منه أنك طرحت كل دراهمك في الطين، يعني ضيعتها في البناء [2].

ما أحرمك ما تريدين إلا لكرامتك علي:

كان مالك بن دينار يمر بالسوق فيرى ما يشتهيه فيقول: يا نفس اصبري، ما أحرمك ما تريدين إلا لكرامتك علي.

إنّ نفسي لتنازعني إلى شيء منذ أربعين سنة:

وقال له جار له في مرضه: ما تشتهي؟ قال: إنّ نفسي لتنازعني إلى شيء منذ أربعين سنة، رغيف أبيض ولبن في زجاج، فأتاه به فجعل ينظر إليه ثم يقول: دافعت شهوتي عمري كله، حتى إذا لم يبق من عمري إلا مثل ظمء الحمار آخذها؟ انظروا يتيم آل فلان فادفعوه إليه، ومات بشهوته [3].

ما الذي أنصب العباد وأضناهم؟:

سأل رجل ذا النون فقال رحمك الله ما الذي أنصب العباد وأضناهم؟ فقال ذكر المقام وقلة الزاد وخوف الحساب.ثم سمعته يقول بعد فراغه من كلامه ولم لا تذوب أبدان العمال وتذهل عقولهم والعرض على الله أمامهم

(1) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 42/1.
(2) الزمخشري، ربيع الأبرار، 1 /51.
(3) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 1 / 156.

وقراءة كتبهم بين أيديهم والملائكة وقوف بين يدي الجبار ينتظرون أمره في الأخيار والأشرار ثم قال مثلوا هذا في نفوسهم وجعلوه نصب أعينهم قال وسمعت ذا النون يقول قال الحسن ما أخاف عليكم منع الإجابة إنما أخاف عليكم منع الدعاء [1].

العلم نور لصاحبه:

قال إسرافيل سمعت ذا النون يقول كتب رجل إلى عالم ما الذي أكسبك علمك من ربك وما أفادك في نفسك فكتب إليه العالم أثبت العلم الحجة وقطع عمود الشك والشبهة وشغلت أيام عمري بطلبه ولم أدرك منه ما فاتني فكتب إليه الرجل العلم نور لصاحبه ودليل على حظه ووسيلة إلى درجات السعداء فكتب إليه العالم أبليت إليه في طلبه جدة الشباب وأدركني حين علمت الضعف عن العمل به ولو اقتصرت منه على القليل كان لي فيه مرشد إلى السبيل.

فاعذرني واتهم نفسك:

سأل رجل ذا النون المصري عن سؤال فقال له ذو النون قلبي لك مقفل فإن فتح لك أجبتك وإن لم ينفتح لك فاعذرني واتهم نفسك [2].

أعقل فإن هذا من صفوة التوحيد:

قال محمد بن أحمد بن سلمة النيسابوري سمعت ذا النون يقول يا خراساني إحذر أن تنقطع عنه فتكون مخدوعا قلت وكيف ذلك قال لأن المخدوع من ينظر إلى عطاياه فينقطع عن النظر إليه بالنظر إلى عطاياه ثم قال تعلق الناس بالأسباب وتعلق الصديقون بولي الأسباب ثم قال علامة تعلق قلوبهم بالعطايا طلبهم منه العطايا ومن علامة تعلق قلب الصدبق بولي العطايا انصباب العطايا عليه وشغله عنها به ثم قال ليكن اعتمادك على الله في الحال لا على الحال مع الله ثم قال أعقل فإن هذا من صفوة التوحيد [3].

(1) حلية الأولياء، 9 /346.
(2) حلية الأولياء، 9 /347.
(3) حلية الأولياء، 9 /351.

وإن يكن غير ذلك فلن ينفعك النداء:

قال محمد أبو الحسن الأنصاري سمعت يوسف بن الحسن يقول قال ذو النون المصري يوما وأتاه رجل فقال له أوصني فقال بم أوصيك إن كنت ممن قد أيد منه في علم الغيب بصدق التوحيد فقد سبق لك قبل أن تخلق إلى يومنا هذا دعاء النبيين والمرسلين والصديقين وذلك خير من وصيتي لك وإن يكن غير ذلك فن ينفعك النداء [1].

يا من دعاه المذنبون فوجدوه قريبا:

قال محمد بن أحمد سمعت ذا النون يقول بينما أنا سائر بين جبال الشام إذا أنا بشيخ على تلعة من الأرض قد تساقطت حاجباه على عينيه كبرا فتقدمت إليه فسلمت عليه فرد علي السلام ثم أنشأ وهو يقول بصوت عليل يا من دعاه المذنبون فوجدوه قريبا ويا من قصد إليه الزاهدون فوجدوه حبيبا ويا من استأنس به المجتهدون فوجدوه سريعا مجيبا ثم أنشأ يقول:

::
وله خصائص مصطفين لحبه : اختارهم في سالف الأزمان
اختارهم من قبل فطرة خلقه :: فهم ودائع حكمة وبيان
:

ثم صرخ صرخة فإذا هو ميت [2].

أصبحت من الدنيا على فناء:

قال سعيد بن الحكم سمعت ذا النون يقول دخلت على متعبدة فقلت لها كيف أصبحت قالت أصبحت من الدنيا على فناء مبادرة للجهاز متأهبة لهول يوم الجواز أعترف لله على ما أنعم بتقصيري عن شكرها أقر بضعفي عن إحصائها وشكرها قد غفلت القلوب عنه وهو منشئها وأدبرت عنه النفوس وهو يناديها فسبحانه ما أمهله للأنام مع تواتر الأيادي والأنعام.

(1) حلية الأولياء، 9 /354.
(2) حلية الأولياء، 9 /354.

كالهارب من السبع:

قال وسمعت ذا النون يقول بينا أنا أسير في بلاد الشام إذا أنا بعابد خرج من بعض الكهوف فلما نظر إلي استتر بين تلك الأشجار ثم قال أعوذ بك سيدي ممن يشغلني عنك يا مأوى العارفين وحبيب التوابين ومعين الصادقين وغاية امل المحبين ثم صاح واغماه من طول البكاء واكرباه من طول المكث في الدنيا ثم قال سبحان من أذاق قلوب العارفين به حلاوة الانقطاع إليه فلا شيء ألذ عندهم من ذكره والخلوة بمناجاته ثم مضى وهو يقول قدوس قدوس قدوس فناديته أيها العابد قف لي فوقف لي وهو يقول اقطع عن قلبي كل علاقة واجعل شغله بك دون خلقك فسلمت عليه ثم سألته أن يدعو الله لي فقال خفف الله عنك مؤن نصب السير إليه وذلك على رضاه حتى لا يكون بينك وبينه علاقة ثم سعى من بين يدي كالهارب من السبع[1].

صوت حزين كئيب موجع القلب:

قال سعيد بن الحكم سمعت ذا النون يقول بينا أنا أسير في بعض سياحتي فاذا أنا بصوت حزين كئيب موجع القلب أسمع الصوت ولا أرى الشخص وهو يقول سبحان مفني الدهور سبحان مخرب الدنيا سبحان مميت القلوب سبحان باعث من في القبور فاتبعت الصوت فاذا أنا بنقب وإذا الصوت خارج من النقب وهو يقول سبحان من لا يسع الخلق إلا سره سبحانك ما ألطفك بمن خالفك وأوفاك بعهدك سبحانك ما أحلمك عمن عصاك وخالف أمرك ثم قال سيدي بحلمك نطقت وبفضلك تكلمت وما أنا والكلام بين يديه بما لا يستأهله قدري فيا إله من مضى قبلي ويا إله من يكون بعدي بالصالحين فألحقني ولأعمالهم فوفقني ثم قال أين الزهاد والعباد أين الذين شدوا مطاياهم إلى منازل معروفة وأعمال موصوفة نزل بهم الزمان فأبلاهم وحل بهم البلاء فأفناهم فهل أنتظر إلا مثل الذي حل بهم ثم أقبل على ما كان فيه فقلت رجل غرقت نفسه عن كلام الناس فانصرفت وتركته باكيا[2].

يا ذا النون غض بصرك من مواقع النظر:

(1) حلية الأولياء، 9 /355.
(2) حلية الأولياء، 9 /359.

قال محمد بن يزيد سمعت ذا النون يقول خرجت حاجا الى بيت الله الحرام فبينا أنا بالطواف إذا بشخص متعلق بأستار الكعبة وإذا هو يبكي وهو يقول في بكائه كتمت بلائي من غيرك وبحت بسري إليك واشتغلت بك عمن سواك عجبت لمن عرفك كيف يسلو عنك ولمن ذاق حبك كيف يصبر عنك ثم أنشأ يقول:

ذوقتني طيب الوصال فزدتني ⁝ شوقا إليك مخامر الحسرات

ثم أقبل على نفسه فقال أمهلك فما ارعويت وستر عليك فما استحيت وسلبك حلاوة المناجاة فما باليت ثم قال عزيزي مالي إذا قمت بين يديك ألقيت علي النعاس ومنعتني حلاوة قرة عيني له ثم أنشأ يقول:

روعت قلبي بالفراق فلم أجد ⁝ شيئا أمر من الفراق وأوجعا
حسب الفراق بأن يفرق بيننا ⁝ وأطال ما قد كنت منه مودعا

قال فلم أتمالك أن أتيت الكعبة مستخفيا فلما أحس تحلل بخمار كان عليه ثم قال يا ذا النون غض بصرك من مواقع النظر فإني حرام فعلمت أنها امرأة فقلت يا أمة الله مم يحوى الهموم قلب المحب فقالت إذا كانت للتذكار محاورة وللشوق محاضرة ياذا النون أما علمت أن الشوق يوري السقام وتجديد التذكار يورث الأحزان ثم أنشأت تقول:

لم أذق طعم وصلك حتى ⁝ زال عني محبتي للأنام

ثم أنشأت تقول:

نعم المحب إذا تزايد مصله ⁝ وعلت محبته بعقب وصال

فقالت أوجعني أما علمت أنه لا يبلغ إليه إلا بترك من دونه [1].

واشغل هواك بحور عين:

حدثنا أحمد بن إسحاق ثنا أحمد بن الحسين الأنصاري ثنا ابو عصمة قال كنت عند ذي النون وبين يديه فتى حسن يملي عليه شيئا قال فمرت

(1) حلية الأولياء، 9 /375.

امرأة ذات جمال وخلق قال فجعل الفتى يسارق النظر إليها قال ففطن ذو النون فلوى عنق الفتى وأنشأيقول:

دع المصوغات من ماء وطين ⁝ واشغل هواك بحور عين [1]

وتضييعي قلبا لا أقتني مثله أبدا:

- كتب الوليد بن عتبة الدمشقي الى ذي النون بكتاب يسأله فيه عن حاله فكتب إليه كتبت إلي تسألني عن حالي فما عسيت أن أخبرك به من حالي وأنا بي خلال موجعات أبكاني منهن أربع حب عيني للنظر ولساني للفضول وقلبي للرياسة وإجابتي إبليس لعنه الله فيما يكرهه الله وأقلقني منها عين لا تبكي من الذنوب المنتنة وقلب لا يخشع عند نزول العظة وعقل وهن فهمه في محبة الدنيا ومعرفة كلما قلبتها وجدتني بالله أجهل وأضناني منها أني عدمت خير خصال الايمان الحياء وعدمت خير زاد الآخرة التقوى وفنيت أيامي بمحبتي للدنيا وتضييعي قلبا لاأقتني مثله أبدا [2].

ذو النون والمريض:

دخل ذو النون على مريض يعوده فراى المريض يئن، فقال ذو النون: ليس بصادق في حبه من لم يصبر على ضربه، فقال المريض: لا ولا صدق في حبه من لم يتلذذ بضربه، فقال ذو النون: لا ولا صدق من رأى حبه لربه، عز وجل [3].

لأن البكاء راحة للقلب:

قال: ذو النون المصري: خرجت يوماً من وادي كنعان، فلما علوت الوادي إذا بسواد مقبل علي وهو يقول: وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ويبكي. فلما قرب مني السواد إذا بامرأة عليها جبة وبيدها ركوة، فقالت لي: من أنت؟ غير فزعة مني، فقلت رجل غريب، فقالت: يا هذا وهل توجد مع الله غربة؟ قال: فبكيت من قولها، فقالت: ما الذي أبكاك؟ قلت: وقع

(1) حلية الأولياء، 9 /375.
(2) حلية الأولياء، 9 /376.
(3) السرّاج القارئ، مصارع العشاق، 1 / 90.

الدواء على داء قد قرح، فأسرع في نجاحه قالت: فإن كنت صادقاً فلم بكيت؟ قلت: يرحمك الله الصادق لا يبكي، قالت: لا، قلت: ولم ذاك؟ قالت: لأن البكاء راحة للقلب، قال ذو النون: فبقيت والله متعجباً من قولها انتهى [1].

يا راقدا والجليل يحفظه:

قال ذو النون المصري بينما أنا في بعض سياحتي إذ مررت بشاطئ البحر فرأيت عقربا أسود قد أقبل إلى أن جاء إلى شاطئ البحر فظننت أنه يشرب فقمت لأنظر فإذا بضفدع قد خرج من الماء وأتاه فحمله على ظهره وذهب به إلى ذلك الجانب قال ذو النون فاتزرت بمئزري وعمت خلفه حتى إذا صعد من ذلك الجانب صعدت وسرت وراءه فما زال حتى جاء إلى شجرة فوجدت تحتها غلاما نائما من شدة السكر قد أقبل عليه تنين عظيم قال فلصقت العقرب برأس التنين ولسعته فقتلته ثم رجعت إلى ظهر الضفدع فعبر بها إلى الماء وسار بها إلى المكان الذي جاءت منه قال ذو النون فتعجبت من ذلك وأنشدت:

::
يا راقدا والجليل يحفظه : من كل سوء يكون في الظلم
كيف تنام العيون عن ملك :: يأتيك منه فوائد النعم
:

ثم أيقظت الغلام وأخبرته بذلك قال فلما سمع ذلك قال أشهدك على أني قد تبت عن هذه الخصلة ثم جرينا ذلك التنين ورميناه في البحر ولبس ذلك الغلام مسحا وساح إلى أن مات رحمه الله تعالى عليه وما أحسن ما قال بعضهم:

إذا لم يسالمك الزمان فحارب :: وباعد إذا لم تنتفع بالأقارب
ولا تحتقر كيد الضعيف فربما : تموت الأفاعي من سموم
فقد هد قدما عرش بلقيس هدهد :: العقارب
إذا كان رأس المال عمرك : وخرب فأر قبل ذا سد مأرب
فاحترز :: عليه من التضييع في غير
فبين اختلاف الليل والصبح : واجب

(1) الشيخ بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، الكشكول، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية - الطبعة: الأولى، بيروت / لبنان - 1418هـ - 1998م، 2 / 64.

معرك :: يكر علينا جيشه بالعجائب [1]
::

والمحبوب لا يدرى ما حاله!:

ولقيه سكران، فجعل يقبله ويقول: " يا سيدي! " ولا يدفعه بشر عن نفسه، فلما ولى تغرغرت عينا بشر، وجعل يقول: " رجل أحب رجلا على خير توهمه! لعل المحب قد نجا، والمحبوب لا يدرى ما حاله! " [2].

أليس كنت تبغضهم؟!:

قال أبو عبد الله المحاملي، حدثني أبى قال: كان عندنا رجل من التجار صديقاً لي، وكان يقع في الصوفية كثيراً، ثم رأيته بعد ذلك يصحبهم، وينفق عليهم ماله. فقلت له: " أليس كنت تبغضهم؟! " فقال: " ليس الأمر على ما كنت أتوهم ". فقلت له: " كيف؟ ". قال: " صليت يوماً الجمعة، فرأيت بشراً مسرعاً خارجاً من المسجد، فقلت في نفسي: لأنظرن إلى هذا الزاهد!. فاشترى خبز الماء بدرهم، ثم شواء بمثله؛ فزادني غيظاً. ثم ثم قالوا ذجاً بدرهم؛ فتبعته فخرج إلى الصحراء، وأنا أقول: " يريد الخضرة والماء! ". فما زال يمشى إلى العصر وأنا خافه، فدخل مسجداً في قرية، فيه مريض، فجعل يلقمه. فقمت أنظر إلى القرية وعدت، فقلت للمريض: " أين بشر؟ ". قال: " ذهب إلى بغداد ". قلت: " كم بيني وبينها؟ ". قال: " أربعون فرسخاً ". فقلت: " أنا لله! " فقال: " اجلس حتى يرجع ". فجاء الجمعة القابلة، ومعه شئ يطعمه للمريض، فلما فرغ قال له: " يا أبا نصر! هذا الرجل صحبك من بغداد، وهو عندي منذ جمعة ".قال فنظر إلى كالمغضب، وقال: " لم صحبتنى؟! " قلت: " أخطأت! " قال: " قم فامش! ". فمشيت إلى المغرب، فلما قربنا من بغداد قال: " اذهب إلى محلتك ولا تعد! " فتبت إلى الله مما كنت أعتقده فيهم، ثم آثرت صحبتهم، وأنا على ذلك " [3].

---

(1) شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف،، تحقيق: د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، 1986، 1 / 308، 2 / 255.

(2) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 17.

(3) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 17.

أواسيهم بنفسي في مقاساة البرد:

وقال بعضهم: " دخلت على بشر في يوم شديد البرد، وقد تعرى من ثيابه وهو ينتفض، فقلت له:" الناس يزيدون من الثياب في مثل هذا اليوم، وأنت قد نقصت؟! " فقال: " ذكرت الفقراء، وما هم فيه، ولم يكن لي ما أواسيهم به، فأردت أن أواسيهم بنفسي في مقاساة البرد" [1].

لو ألهمنا أنفسنا هذا ما خرجت السمكة!:

وقال منصور الصياد: " مر بي بشر - وهو منصرف من صلاة العيد - فقال لى: " في هذا الوقت؟! " فقلت: " ليس في البيت دقيق ولا خبز! " فقال:

" الله المستعان! احمل شبكتك وتعال إلى الخندق ". وأمرني بالوضوء وصلاة ركعتين، ثم قال لي: " ألقها، وقل: بسم الله! " فألقيتها، فوقعت فيها سمكة كبيرة، فقال: " بعها! " فبعتها بعشرة دراهم، واشتريت منها جميع ما يحتاجونه إليه. ثم أخذت رقاقتين وعليهما حلوى، وجئت بهما إلى بشر، فدققت الباب، فقال: " من؟ " قلت: " منصور الصياد! " فقال: " ادفع الباب، وضع ما معك في الدهليز، وادخل أنت " فدخلت، فقال " لو ألهمنا أنفسنا هذا ما خرجت السمكة! " [2].

ذهب عنك اسم الحافى:

وروى أنه أتى باب المعافى بن عمران فدقه، فقيل: " من؟ " قال: " بشر الحافى " فقال: بنية من داخل الدار: " لو اشتريت نعلا بدانقين ذهب عنك اسم الحافى " [3].

دخلت دار بشر:

وروى أن امرأة جاءت إلى أحمد بن حنبل، فقالت: " إنى امرأة أغزل بالليل والنهار، وأبيع الغزل، ولا أبين غزل النهار من الليل، فهل على في ذلك شيء؟. فقال: " يجب أن تبيني! " ثم انصرفت، فقال أحمد لأبنه: "

(1) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 17.
(2) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 17.
(3) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 18.

اذهب فانظر أين تدخل! ". فرجع فقال: " دخلت دار بشر "[1].

فلا ما جمعت أكلت، ولا ما أملت نالت:

وقال محمد بن نعيم: " دخلت علي بشر في علته، فقلت: " عظني! ". فقال: " إن في هذه الدار نملة، تجمع الحب في الصيف لتأكله في الشتاء؛ فلما كان يوماً أخذت حبة في فمها، فجاء عصفور فأخذها، فلا ما جمعت أكلت، ولا ما أملت نالت "[2].

الموتى داخل السور أكثر منهم خارج السور:

قال أبو بكر الباقلاني: سمعت بشر بن الحارق ونحن معه بباب حرب، وأراد الدخول إلى المقبرة فقال: الموتى داخل السور أكثر منهم خارج السور[3].

أنت تعلم أني لو أعلم أن هذا هاهنا لم أتكلم:

قال عباس بن دهقان قلت لبشر بن الحارث أحب أن أخلو معك قال: إذا شئت فبكرت يوما فرأيته قد دخل قبة فصلى أربع ركعات فسمعته يقول في سجوده، اللهم إنك تعلم فوق عرشك أن الذل أحب إلي من الشرف ، اللهم إنك تعلم فوق عرشك أن الفقر أحب إلي من الغنى ، اللهم إنك تعلم فوق عرشك أني لا أوثر على حبك شيئا فلما سمعته أخذني الشهيق والبكاء فلما سمعني قال: أنت تعلم أني لو أعلم أن هذا هاهنا لم أتكلم[4].

الحمد لله الذي أرضى بشرا بما صنعنا:

أدخل أحمد بن حنبل الكير فخرج ذهبا أحمر وآل علي فبلغ ذلك أحمد فقال الحمد لله الذي أرضى بشرا بما صنعنا[5].

---

(1) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 18.
(2) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 19.
(3) وفيات الأعيان، 1 /468.
(4) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، العلو للعلي الغفار، تحقيق: أبي محمد أشرف بن عبدالمقصود، مكتبة أضواء السلف - الرياض، الطبعة الأولى، 1995، ص 172.
(5) حلية الأولياء، 8 /336.

المحدثون كثير:

قال الحسن بن سعيد كنا يوما عند بشر بن الحارث فجاء رجل من خراسان فبرك قدامه فقال له يا أبا نصر أنا وفد خراسان حدثني بخمسة أحاديث أذكرك بها بخراسان فلم يزل يتذلل له وبشر يقول له المحدثون كثير فلم يزل يداريه ويجتهد به فلما رأى أنه لا ينفعه شيء قال له يا أبا نصر أليس تروي عن عيسى عليه السلام أنه قال من علم وعمل وعلم فذلك الذي يدعي عظيما في ملكوت السماء قال له كيف قلت أعد علي فأعاد عليه القول من علم وعمل وعلم فذلك الذي يدعي عظيما في ملكوت السماء قال له صدقت قد علمنا حتى نعمل ثم نعلم [1].

فابشر يا أبا نصر:

قال أحمد بن محمد بن غزوان بكرت أنا وأخي في غداة باردة جدا إلى بشر فألفيناه على بابه معه خليل الخياط ثم قام يمشي أمامنا وعليه فرو خلق وخف قصير فوق عقبه فقام ليخرج إلى السوق وعليه إزار لطيف جدا فما مر بواحد أو أكثر إلا رفع صوته وقال: السلام عليكم فلما خرج الى السوق وقف على رجل دقاق فسأله عن سعر الدقيق بالأمس فقال: ناقص فابشر

يا أبا نصر فحمد الله وأخذ.

أشتهي أن أمرض بلا عواد:

ومما سمعت من كلامه أن بشرا أرجف الناس بموته بباب الطاق في يوم مطير فجئت في المطر والطين حتى بلغت بابه فإذا على بابه ثلاثة نفر شيخ منهم يقول: إنما جئنا نعودك يا أبا نصر فقال لهم: وهو يبكي لا حاجة لي في عيادتكم اذهبوا عني فقد آذيتموني وهو يبكي وقال: قال فضيل أشتهي أن أمرض بلا عواد [2].

(1) حلية الأولياء، 8 /337.

(2) حلية الأولياء، 8 /338.

ضاق على الماء فكيف أتكلم في النبيذ:

قال محمد بن يوسف الجوهري سألت بشر بن الحارث عن النبيذ فقال: قد ضاق على الماء فكيف أتكلم في النبيذ[1].

وأنت قلت ولم تعمل:

قال محمد بن اسحاق أمام سلامة قلت لبشر بن الحارث إني أحب أن اسلك طريق إبراهيم بن ادهم قال لا تقوى قلت ولم ذاك قال لأن إبراهيم عمل ولم يقل وأنت قلت ولم تعمل [2].

تغتم لي حية وميتة:

- قال محمد بن الهيثم كنت أدخل على أخت بشر في صغري فأعطتني يوما كبة من غزل فقالت: بع هذه الكبة واشتر خبزا وسمكا ففعلت فدخل بشر والخبز والسمك موضوع فقال بشر ما هذا الطعام قالت رأيت أمي وأمك في المنام فقالت: إن أردت فرحي وإدخالك السرور علي فبيعي من غزلك واشتري خبزا وسمكا فإن أخاك بشرا يشتهيها قالت فلما ذكرت أمي وأمه بكى وقال رحمها الله تغتم لي حية وميتة فقال بشر إني لأشتهيه منذ خمس وعشرين سنة ما كان اللهعز وجل يراني أن أرجع في شيء تركته لله. وكان غزل أخته فيما ذكر أنها قصدت أحمد بن حنبل فقالت إنا قوم نغزل بالليل ومعاشنا منه وربما يمر بنا مشاعل بني طاهر ولاة بغداد ونحن على السطح فنغزل في ضوئها الطاقة والطاقتين أفتحله لنا أم تحرمه؟ فقال لها: من أنت؟ قالت: أخت بشر. فقال: آه يا آل بشر لا عدمتكم لا أزال أسمع الورع الصافي من قبلكم [3].

(1) حلية الأولياء، 8 /340.
(2) حلية الأولياء، 8 /348.
(3) حلية الأولياء، 8 /353.

ما أقبح بمثلي:

قال عمر بن موسى سمعت بشر بن الحارث يقول لقد شهرني ربي في الدنيا فليته لايفضحني في القيامة ما أقبح بمثلي يظن في ظن وأنا على خلافه إنما ينبغي لي أن أكون أكثر ما يظن بي أني أكره الموت وما يكره الموت إلا مريب ولولا أني مريب لأي شيء أكره الموت [1].

إذا كان يطعم هذا من يعصيه فكيف من يطيعه:

وقال رجل رأيت بشر بن الحارث وقف على أصحاب الفاكهة فجعل ينظر فقلت يا أبا نصر لعلك تشتهي من هذا شيئا قال لا ولكن نظرت في هذا إذا كان يطعم هذا من يعصيه فكيف من يطيعه [2].

ينبغي أن أستحيي من الله:

وعن أبي بكر المروزي قال سمعت بعض القطانين يقول أهدى إلي أستاذي رطبا وكان بشر يقيل في دكاننا في الصيف فقال له أستاذي يا أبا نصر هذا من وجه طيب فإن رأيت أن تأكل قال فجعل يمسه بيده ثم ضرب بيده إلى لحيته وقال ينبغي أن أستحيي من الله إني عند الناس تارك لهذا وآكله في السر [3].

- حكي عن بشر أنه قال ربما رفعت يدي في الدعاء فأردها أو قال فأستلها أقول إنما يفعل هذا من له عنده وجه

اللهم إنك تعلم أني أخاف أن أسكت:

وعن الفتح بن شحرف قال كنت جالسا عند بشر إذ جاءه رجل فسأله عن مسألة فأطرق مليا ثم رفع رأسه ثم أطرق ثم رفع رأسه فقال اللهم إنك تعلم أني أخاف أن أتكلم اللهم إنك تعلم أني أخاف أن أسكت اللهم إنك تعلم أني أخاف أن تأخذني فيما بين السكوت والكلام.

(1) صفة الصفوة، 2 /326.
(2) صفة الصفوة، 2 /326.
(3) صفة الصفوة، 2 /327.

تفكرت في بشر النصراني وبشر اليهودي:

وعن زبدة أخت بشر بن الحارث قالت دخل بشر علي ليلة من الليالي فوضع إحدى رجليه داخل الدار والأخرى خارج الدار وبقي كذلك يتفكر حتى أصبح فلما أصبح قلت له في ماذا تفكرت طول الليلة قال تفكرت في بشر النصراني وبشر اليهودي وبشر المجوسي ونفسي واسمي بشر فقلت مالذي سبق منك حتى خصك فتفكرت في تفضله علي وحمدته علي أن جعلني من خاصته وألبسني لباس أحبائه.

إليك عني تأكلين قوتي:

وقال بشر كان لي سنور فكنت إذا وضعت طعامي بين يدي جاءت فعيناها في عيني فآكل وأرمي لها قال فقلت إليك عني تأكلين قوتي [1].

هكذا ندفع الدنيا:

وعن عمرو بن موسى بن فيروز قال رأيت بشرا ومعه رجل فتقدم إلى بئر ليشرب منها فجذبه بشر وقال تشرب من البئر الأخرى حتى جاوز ثلاثة آبار فقال له الرجل أبا نصر أنا عطشان فقال له بشر أسكت فهكذا ندفع الدنيا [2].

أنين المريض هل هو شكوى:

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: دخلت امرأة على أبي فقالت له: يا أبا عبد الله، إني امرأة أغزل في الليل على ضوء السراج، وربما طفىء السراج فأغزل على ضوء القمر، فهل علي أن أبين غزل السراج من غزل القمر فقال لها أبي: إن كان عندك بينهما فرق فعليك أن تبيني ذلك، فقالت له: يا أبا عبد الله أنين المريض هل هو شكوى فقال لها: إني أرجو أن لا يكون شكوى، ولكن هو اشتكاء إلى الله تعالى، ثم انصرفت؛ قال عبد الله: فقال لي أبي: يا بني ما سمعت إنساناً قط يسأل عن مثل ما سألت هذه المرأة، اتبعها؛ قال عبد الله: فتبعتها إلى أن دخلت دار بشر الحافي، فعرفت أنها أخت بشر، فأتيت أبي فقلت له: إن المرأة أخت بشر الحافي، فقال أبي:

---

(1) صفة الصفوة، 2 /328.

(2) صفة الصفوة، 2 /333.

هذا والله هو الصحيح، محال أن تكون هذه المرأة إلا أخت بشر الحافي.

من ههنا أتيت:

وقال عبد الله أيضاً: جاءت مخة أخت بشر الحافي إلى أبي فقالت: يا أبا عبد الله، رأس مالي دانقان أشتري بهما قطنا فأغزله وأبيعه بنصف درهم، فأنفق دانقاً من الجمعة إلى الجمعة، وقد مر الطائف ليلة ومعه مشعل فاغتنمت ضوء المشعل وغزلت طاقين في ضوئه، فعلمت أن الله سبحانه وتعالى في مطالبة، فخلصني من هذا خلصك الله تعالى، فقال أبي: تخرجين الدانقين ثم تبقين بلا رأس مال حتى يعوضك الله خيرا منه؛ قال عبد الله: فقلت لأبي: لو قلت لها حتى تخرج رأس مالها، فقال: يابني سؤالها لا يتحمل التأويل، فمن هذه المرأة فقلت هي مخة أخت بشر الحافي، فقال أبي: من ههنا أتيت.

وقال بشر الحافي: تعلمت الزهد من اختي فإنها كانت تجتهد أن لا تأكل ما لمخلوق فيه صنع [1].

فخشيت على نفسي شيطانيه:

وقفت جارية لم ير أحسن وجها منها على بشر الحافي فسألته عن باب حرب، فدلها، ثم وقف عليه غلام حسن الوجه فسأله عن باب حرب، فأطرق رأسه، فرد عليه الغلام السؤال فغمض عينيه، فقيل له: يا أبا نصر جاءتك جارية فسألتك فأجبتها، وجاءك هذا الغلام فسألك فلم تكلمه؟ فقال: نعم يروى عن سفيان الثوري أنه قال: مع الجارية شيطان، ومع الغلام شيطانان، فخشيت على نفسي شيطانية.

إن كنت حراً فاصنع ما شئت:

يروى أن بشراً الحافي مر على بيت فسمع فيه صوت الدفوف، والمزامير، والغناء! فقرع الباب، فخرجت إليه امرأة، قال لها: من صاحب هذا البيت؟ قالت: ماذا تريد منه؟ قال: أريد أن أعلم أعبد هو أم حر؟ قالت: لا بل هو حر، قال لها: أخبريه بأن بشراً الحافي يقول لك: إن كنت حراً فاصنع ما شئت، وإن كنت عبداً فلا تتصرف إلا بإذن سيدك.

---

(1) وفيات الأعيان، 1 /276.

فضحكت المرأة وذهبت للرجل، وقالت: في الباب رجل مخبول! يقول: كذا وكذا، قال: كلا والله! هذا هو عين العقل، صدق، أنا عبد ولست حراً، أنا عبد لله عز وجل ، وما عندي من مال ومتاع، لا يجوز لي أن أتصرف فيه إلا بإذن سيدي وهو الله تعالى، فتاب إلى الله تعالى، وكسر مزاميره، وطنابيره، وأقلع عما كان يفعله.

بئس القوم لا يعرفون الله إلا في رمضان!:

- ولمَّا سُئِل بشر الحافي رحمه الله عن أناس يتعبدون في رمضان ويجتهدون، فإذا انسلخ رمضانُ تركوا، قال: بئس القوم لا يعرفون الله إلا في رمضان!

لا يؤاخذك الله على هذا:

- عن محمد بن نصر الخزاعي الصائغ قال: سمعت بشر بن الحارث الحافي وقد ضحك عنده رجل فقال: احذر يا بن الأخ لا يؤاخذك الله على هذا.

من أين تأكل؟:

وقيل لبشر الحافي: من أين تأكل؟ قال من حيث تأكلون، ولكن ليس من يأكل وهو يبكي كمن يأكل وهو يضحك.

فهو ماء بشر الحافي:

ولما مرض بشر الحافي رحمه الله تعالى قالوا أندعوا لك طبيبا فقال إني بعين الطبيب يفعل بي ما يريد فألح عليه أهله وقالوا لا بد أن ندفع ماءك إلى الطبيب فقال لأخته ادفعي إليهم الماء في قارورة وكان بالقرب منهم رجل ذمي وكان حاذقا في الطب فأتوه بمائه في القارورة فلما رآه قال حركوه فحركوه ثم قال ضعوه ثم قال ارفعوه فقالوا له ما بهذا وصفت لنا قال وبم وصفت لكم قالوا بالحذق والمعرفة قال هو كما تقولون غير أن هذا الماء إن كان ماء نصراني فهو راهب قد فتتت كبده العبادة وإن كان مسلما فهو ماء بشر الحافي فإنه أوحد أهل زمانه في السلوك مع الله تعالى قالوا هو ماء بشر الحافي فأسلم النصراني وقطع زناره فلما رجعوا إلى بشر قال لهم أسلم الطبيب فقالوا ومن أعلمك قال لما خرجتم من عندي هتف لي هاتف وقال يا بشر ببركة مائك أسلم الطبيب وصار من أهل

الجنة [1].

فَالنَّفَقَةُ الَّتِي بَلَغْتَ بِهَا إِلَى هَذَا مِنْ أَيْنَ؟:

قَالَ سَرِيَّ بْنَ مُغَلِّسٍ،: " غَزَوْنَا أَرْضَ الرُّومِ فَمَرَرْتُ بِرَوْضَةٍ خَضِرَةٍ فِيهَا الْخُبَّازُ، وَحَجَرٌ مَنْقُورٌ فِيهِ مَاءُ الْمَطَرِ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَئِنْ كُنْتُ آكُلُ يَوْمًا حَلاَلًا فَالْيَوْمَ فَنَزَلْتُ عَنْ دَابَّتِي، وَجَعَلْتُ آكُلُ مِنْ ذَلِكَ الْخُبَّازِ، وَأَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ، فَإِذَا هَاتِفٌ يَهْتِفُ بِي: " يَا سَرِيُّ بْنُ مُغَلِّسٍ، فَالنَّفَقَةُ الَّتِي بَلَغْتَ بِهَا إِلَى هَذَا مِنْ أَيْنَ "؟

منذ ثلاثين سنة أنا في الاستغفار:

قال السري: منذ ثلاثين سنة أنا في الاستغفار من قولي: الحمد لله مرّة. قيل: وكيف ذلك؟ فقال: وقع ببغداد حريق، فاستقبلني رجل، فقال لي: نجا حانوتك.فقلت: الحمد لله. فمنذ ثلاثين سنة أنا نادم على ما قلت، حيث أردت لنفسي خيراً مما حصل للمسلمين!!.

أعرف طريقاً مختصراً إلى الجنة:

قال الجنيد: سمعت السريَّ يقول: أعرف طريقاً مختصراً قصداً إلى الجنة: فقلت له: ما هو؟.فقال: لا تسأل من أحد شيئاً، ولا تأخذ من أحد شيئاً، ولا يكن معك شيء تعطى منه أحداً.

أشتهي أن أموت ببلد غير بغداد:

قال الجنيد بن محمد: سمعت السري يقول: أشتهي أن أموت ببلد غير بغداد، فقيل له: ولم ذلك؟ فقال: أخاف ألا يقبلني قبري فأفتضح.

حتى عفا عليه التراب:

قال الجنيد: دخلت يوماً على السريِّ السقطي وهو يبكي، فقلت له: ما يبكيك؟ فقال: جائتني البارحة الصبيَّة، فقالت: يا أبتي، هذه ليلة حارَّةٌ، وهذا الكوز أُعلّقه ها هنا حتى يبرد الماء.

ثم إني حملتني عيناي فنمت، فرأيت جارية من أحسن الخلق قد نزلت من السماء، فقلت: لمن أنت؟ فقالت: لمن لا يشرب الماء المبرَّج في الكيزان.فتناولت الكوز فضربت به الأرض فكسرته.

---

(1) وفيات الأعيان، 1 /277.

قال الجنيد: فرأيت الخزف لم يرفعه ولم يمسَّه، حتى عفا عليه التراب [1].

قد خلوا ابنك:

قال مظفر بن سهل المقرئ: كنت جالساً مع سري يوماً، فوافته امرأة فقالت: يا أبا الحسن أنا من جيرانك، أخذ ابني الطائف البارحة، وكلم ابني الطائف، وأنا أخشى أن يؤذيه، فإن رأيت أن تجيء معي، أو تبعث إليه، قال: علان: فتوقعت أن يبعث إليه، فقام فكبر وطوّل في صلاته، فقالت المرأة، يا أبا الحسن الله الله فيَّ، هو ذا أخشى أن يؤذيه السلطان، فسلم وقال لها: أنا في حاجتك، قال مظفر: فما برحت حتى جاءت امرأة إلى المرأة فقالت: الحقي قد خلوا ابنك [2].

أنا تائب من الملح:

قال أحمد بن خلف دخلت يوما على السرى فقال لي ألا أعجبك من عصفور يجيء فيسقط على هذا الرواق فأكون قد أعددت له لقيمة فأفتها في كفي فيسقط على أطراف أناملي فيأكل فلما كان في وقت من الأوقات سقط على الرواق ففتت الخبز في يدي فلم يسقط على يدي كما كان ففكرت في سر العلة في وحشته مني فوجدتني قد أكلت ملحا طيبا فقلت في سرى أنا تائب من الملح فسقط على يدي فأكل وانصرف [3].

يا معشر الشباب جِدّوا:

قال الجنيد: سمعت السري يقول: يا معشر الشباب جِدّوا قبل أن تبلغوا مبلغي فتضعفوا وتقصروا كما قصرت، وكان في ذلك الوقت، لا يلحقه الشباب في العبادة [4].

هذه أغلال:

قال علي بن عبد الحميد الغضائري: جئت إلى سري بن المغلس السقطي لأقرأ عليه شيئاً، فدققت عليه الباب، فسمعته من داخل وهو يقول:

---

(1) القشيري، الرسالة القشيرية، ص 9.
(2) بغية الطلب في تاريخ حلب، 4 /239.
(3) بغية الطلب في تاريخ حلب، 4 /240.
(4) بغية الطلب في تاريخ حلب، 4 /240.

اللهم من شغلني عنك فاشغله بك، ثم فتح الباب وقعد، فأخذت أقرأ عليه، فقال: إن هذه أغلال، إن هذه أغلال [1].

لو سمعت منك هذه الكلمة من قبل لما صحبتك:

قال الجنيد: دخلت على السري في مرضه الذي مات فيه فقلت له: كيف تجدك يا شيخ؟ قال: عبد مملوك لا يقدر لنفسه شيئاً، فأخذت المروحة لأروحه فقال: دعني كيف أتروح بريح المروحة، فأحشائي تحترق، فقلت له، أوصني أيها الشيخ قال إياك وصحبة العوام فقلت له: زدني، قال: فرفع رأسه إليّ بعدما طأطأه وقال: لا تشتغل عن صحبة الله بصحبة الأخيار فقلت له: لو سمعت منك هذه الكلمة من قبل لما صحبتك.

فإذا اسمي في الحاشية:

قال أبا عبيد بن حربويه: حضرت جنازة سري السقطي، فسررت فحدثنا رجل عن آخر أنه حضر جنازة سري فلما كان في بعض الليالي رآه في النوم فقال: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ولمن حضر جنازتي وصلي عليّ. قلت فإني ممن حضر جنازتك وصلى عليك، قال: فأخرج درجاً فنظر فيه، فلم ير لي فيه اسماً، فقال: فقلت: بلى قد حضرت، قال: فنظر فإذا اسمي في الحاشية [2].

ترانا اليوم نأكل بأديانا:

قال علي بن الحسين بن حرب بعث بي أبي إلى السرى بشيء من حب السعال لسعال كان به فقال لي: كم؟ ثمنه قلت له: لم يخبرني بشيء. فقال: اقرأ عليه السلام، وقل له نحن نعلم الناس منذ خمسين سنة ألاَّ يأكلوا بأديانهم ترانا اليوم نأكل بأديانا.

اللهم اشغل من شغلني عنك بك:

قال علي بن عبدالحميد الغضائري الحلبي سمعت سريا السقطي ودققت عليه الباب فقام إلى عضادتي الباب فسمعته يقول اللهم اشغل من شغلني عنك بك فكان من بركة دعائه أني حججت أربعين حجة من حلب

(1) بغية الطلب في تاريخ حلب، 4 /241.
(2) بغية الطلب في تاريخ حلب، 4 /244.

على رجلي ماشيا ذاهبا وجائيا [1].

رجل يتكلم في موارد القلوب:

قال الجنيد بن محمد بعثني السري يوما في حاجة فأبطأت عليه فلما جئت قال لي إذا بعث بك رجل يتكلم في موارد القلوب في حاجة فلا تبطئ عليه فإنك تشغل قلبه [2].

فأردت أن يكون معه الأكثر:

قال أحمد بن عمر الخلقاني خرج معي سرى السقطي يوم العيد من المسجد فلقي رجلا جليلا فسلم عليه سلاما ناقصا فقلت له إن هذا فلان قال قد عرفته قلت فلم نقصته في السلام قال لأنه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "**إذا التقى المسلمان قسمت بينهما مائة رحمة تسعون لأبشهما**-فأردت أن يكون معه الأكثر.

اللهم علمنا أدب العيادة:

قال الجنيد بن محمد سمعت السرى يقول اعتللت بطرسوس علة فدخل علي ثقلاء القراء يعودونني فجلسوا فأطالوا جلوسهم فأذاني ثم قالوا إن رأيت أن تدعو الله فمددت يدي وقلت اللهم علمنا أدب العيادة.

إن الجوع أورثهم الحكم وإن الشبع أورثهم التخم:

قال أبو بكر العطشى قلت لسري السقطى ماذا أراد أهل الجوع بالجوع فقال ماذا أراد أهل الشبع بالشبع إن الجوع أورثهم الحكم وإن الشبع أورثهم التخم[3].

ملحك مدقوق:

قال الجنيد: وسمعته يقول: أريد أن آكل أكلة ليس لله علي فيها تبعة ولا لمخلوق فيها منة فلم أجد، فأتاني حي الجرجاني فدق علي باب الغرفة فخرجت إليه فقال لي: يا سري، ملحك مدقوق فقلت: نعم، قال: لا تفلح، ثم قال: لولا أن الله عز وجل عقم الآذان عن فهم القرآن ما زرع الزارع، ولا

(1) حلية الأولياء، 10 /118.
(2) حلية الأولياء، 10 /118.
(3) حلية الأولياء، 10 /122.

تجر التاجر، ولا تلاه الناس في الطرقات، ثم مضى فأتعبني وأبكاني [1].

عند ذلك تصل إلى محبة المحبوب:

وقال: " بينما أنا مار في طريق بيت المقدس، إذ رأيت امرأة عليها جبة مسح، وعلى رأسها خمار صوف، وهي جالسة، ورأسها بين ركبتيها، وهي تبكي؛ فقلت لها: ما أبكاكِ، يا جارية؟. فقالت: يا أبا سليمان؛ وكيف لا ابكي وأنا احب لقائه؟!. فقلت لها ما تحبين؟، فقالت: وهل يحب المحب غير لقاء المحبوب؟!. فقلت لها: ومن محبوبك؟ فقالت: علام الغيوب!، قلت: كيف تحبينه؟، فقالت: إذا صفيت نفسك من العيوب، وجالت روحك في الملكوت، عند ذلك تصل إلى محبة المحبوب ". فقلت: " فكيف يكونون في محبتهم له؟ "، فقالت: " أبدانهم نحيلة، وألوانهم متغيرة، وعيونهم هاطلة، وقلوبهم واجفة، وأرواحهم ذائبة، وألسنتهم بذكر محبوبهم لهجة "، قلت: " من أين لك هذه الحكمة، التي تنطقين بها؟! "، فقالت: " يا أبا سليمان!، لا تجيئ بطول العمر! ". فقلت: " بماذا تجئ؟ "، قالت: " بصفاء الود، وحسن المعاملة؟ "، ثم أنشأت تقول:

قد كتمت الهوى فباح بسره ⋮ عبرات من الجفون تسيل

ثم قالت: أواه! أواه!. وأنشأت تقول:

كتب الدمع، فوق خدي، سطورا ⋮ كل وجدٍ بمن هويت قليل
اعذروني، إذا بليت من الوجد، ⋮ فمالي إلى العزاء سبيل
ان دمعي لشاهد على الحب، ⋮ دليل بأن حزني طويل

ثم قامت ودخلت في واد بين الجبال، وأنا انظر أليها ".

(1) صفة الصفوة، 2 /376.

وإذا أردتم انكشفت:

وحكى بعض أصحابه، قال: " كنا ببيت المقدس، ولا نتكلم إلا في أوقات، وكان له عمود في المسجد يجلس إليه؛ فجئت يوماً إلى العمود فما رأيته، كذا ثانية. فلما كان يوماً ثالث كنت بجانب العمود وما رأيته، فحدثني وقال: " اجلس! " فنظرت فإذا هو قائم في العمود، فجلست وأنا مرعوب، وجاء اخر فقعد، وجاء اخر، فقال أبو سليمان:" من الناس من يطلبني اليوم واليومين والثلاثة، فإذا اردت استترت، وإذا اردتم انكشفت، وحدثته فقعد "[1].

يا معلم! ما فعل الله بك؟:

قال أحمد بن أبي الحواري: تمنيت أن أرى أبا سليمان الداراني في المنام، فرأيته بعد سنة، فقلت له: يا معلم! ما فعل الله بك؟

قال: يا أحمد! دخلت من باب الصغير، فلقيت وسق شيح، فأخذت منه عودا، فلا أدري تخللت به أم رميت به، فأنا في حسابه من سنة [2].

هو الذي يلقى ربه وليس فيه إله غيره:

قال أحمد بن أبي الحواري: قلت لأبي سليمان: " إلا من أتى الله بقلب سليم " قلت له:"القلب السليم الذي يلقى الله به وليس فيه أحد غيره؟-فبكى ثم قال: ما سمعت منذ دخلت الشام حديثا مثله، هذا هو الذي يلقى ربه وليس فيه إله غيره [3].

فارتحلت وما صحبني حديث غير هذا:

حدث أبو سليمان الداراني، قال: شهدت مع أبي الأشهب جنازة بعبادان، فسمعته يقول:"أوحى الله سبحانه إلى داود: حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات، فإن القلوب المعلقة بحب الشهوات في الدنيا عقولها محجوبة عني-قال: فارتحلت وما صحبني حديث غير هذا [4].

---

(1) طبقات الأولياء، ص 65.
(2) سير أعلام النبلاء، 10 /185.
(3) تاريخ داريا لعبد الجبار الخولاني، ص 174.
(4) تاريخ داريا لعبد الجبار الخولاني، ص 179.

يا أبا سليمان قم إلى الحائط:

قال أبو سليمان الداراني: وقعت أمي من فوق وتكسرت فأهمني أمرها فقلت يا رب من يخدمها فجعلت أبكي في سجودي فإذا هاتف يهتف يا أبا سليمان قم إلى الحائط فخذ ما فيه وادع به فقمت فإذا بقرطاس ما رأيت على نقائه وبياضه بخما رأيت مثله حسنا تفوح منه رائحة المسك وإذا فيه مكتوب يا مدرك الفوت بعد الفوت ويا من يسمع في ظلم الليل الصوت ويا من يحيي العظام وهي رميم بعد الموت فدعوت بها وأنا ساجد فإذا أمي تقول يا أبا سليمان ما فعلت الليلة قال قلت لها قد قمت قالت نعم [1].

فبماذا تغسل قلبك:

قال أحمد بن أبي الحواري: ثار أبو سليمان ذات ليلة فلما انتصف الليل قام ليتهيأ فلما أدخل يده في الإناء بقي على حالته حتى انفجر الصبح وجاء وقت الإمامة فخشيت أن تفوت صلاته فقلت الصلاة يرحمك الله فقال لا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال يا أحمد أدخلت يدي في الإناء فعارضني عارض من سري هب أنك غسلت بالماء ما ظهر منك فبماذا تغسل قلبك فبقيت متفكرا فألهمت حتى قلت بالغموم والأحزان فيما يقربني من الأنس بالله [2].

يا بني، اتق الله وخفه وارجه:

قال حميد بن هشام أبو هشام: قلت لأبي سليمان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية: يا عم، لم تشدد علينا وقد قال الله عز وجل في كتابه: يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم؟ قال: "اقرأ"، فقرأت: { وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ } [الزمر: ٥٤]، ثم قال: "اقرأ"، فقرأت: { وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ

(1) تاريخ دمشق، 34 /134.
(2) تاريخ دمشق، 34 /135.

مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾} [الزمر: ٥٥ - ٥٨]، فأقمت أياما ثم قرأت ما يتلو هذا: { بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَـٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ } [الزمر: ٥٩].

فقلت له: يا عم، قال الله: بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين، فأنا بحمد الله ونعمته لم أكذب بآيات ربي ولا استكبرت عن عبادته، وما أنا من الكافرين، فمسح - يعني رأسه - وقال:"يا بني، اتق الله وخفه وارجه"[1].

لو عاديت آدميا لكرهت لقاءه:

قال عبد الرحيم بن صالح: سمعت أبا سليمان الداراني، يقول لأم هارون: أتحبين الموت؟ قالت: "لا-قال: ولم تكرهين لقاء الله عز وجل ؟ ففاضت دموعها بالانتحاب، فقالت:"يا أبا سليمان، لو عاديت آدميا لكرهت لقاءه-فصرخ أبو سليمان ووقع مغشيا عليه [2].

بما كسبت يداك:

قال أحمد بن أبي الحواري قلت لأبي سليمان لم أوتر البارحة ولم أصل ركعتي الفجر ولم أصل الصبح في جماعة قال بما كسبت يداك والله ليس بظلام للعبيد شهوة أصبتها [3].

فإن لم تكن قمرا فكن شمسا:

قال أحمد بن أبي الحواري لي أبو سليمان يا أحمد كن كوكبا فإن لم تكن كوكبا فكن قمرا فإن لم تكن قمرا فكن شمسا فقلت يا أبا سليمان القمر أضوأمن الكوكب والشمس أضوأمن القمر قال يا أحمد كن مثل الكوكب طلع أول الليل إلى الفجر فقم أول الليل إلى آخره فإن لم تقو على قيام الليل فكن مثل الشمس تطلع أول النهار إلى آخره فإن لم تقدر على قيام الليل فلا

(1) تاريخ داريا لعبد الجبار الخولاني، ص 192.
(2) تاريخ داريا لعبد الجبار الخولاني، ص 197.
(3) حلية الأولياء، 9 /258.

تعص الله بالنهار [1].

معروف في أهل الأرض معروف في أهل السماء:

قال عبيد جاء رجل من الشام إلى معروف يسلم عليه فقالوا له فقال إني رأيت في المنام يقال لي إذهب إلى معروف فسلم عليه فانه معروف في أهل الأرض معروف في أهل السماء.

ولكني رجوت دعاءه:

قال عبيد بن محمد الوراق مر معروف بسقاء يقول رحم الله من شرب فتقدم فشرب فقيل له أما كنت صائما قال بلى ولكني رجوت دعاءه.

إن حفظهم رجعوا ولم يذهبوا:

- مر معروف على قوم من أصحاب زهير يخرجون الى القتال ومعهم فتى فقال اللهم احفظهم فقيل له تدعو لهؤلاء فقال ويحك إن حفظهم رجعوا ولم يذهبوا [2].

إن الملك دائم لا يفتر:

قال محمد بن عبد الرحمن دوست قدم قوم الى معروف فأطالوا الجلوس فقال يا قوم إن الملك دائم لا يفتر عن سوقها.

ما أحصينا مذ قلتها عام أول:

قال معروفا الكرخي يقول ودع رجل البيت فقال أللهم لك الحمد عدد عفوك عن خلقك ثم رجع من قابل فقالها فسمع صوتا ما أحصينا مذ قلتها عام أول [3].

فهات المصحف، وخذي الملحفة!:

ونزل يوماً إلى دجلة يتوضأ ووضع مصحفه وملحفة فجاءت امرأة فأخذتهما، فتبعها، وقال: " أنا معروف!، لا بأس عليك!، ألك ولد يقرأ القرآن؟ "، قالت: " لا! "، قال: " فزوج؟ "، قالت: " لا! "، قال: " فهات المصحف، وخذي الملحفة! ".

---

(1) حلية الأولياء، 9 /260.
(2) حلية الأولياء، 8 /365.
(3) حلية الأولياء، 8 /366.

ولم يضركم شيء:

وكان قاعداً على دجلة ببغداد إذ مر به أحداث في زورق، يضربون الملاهي ويشربون؛ فقال له أصحابه: ما ترى هؤلاء - في هذا الماء - يعصون! ادع الله عليهم! "، فرفع يديه إلى السماء وقال: " إلهي وسيدي!، كما فرحتهم في الدنيا أسألك أن تفرحهم في الآخرة! " فقال له أصحابه: " إنما قلنا لك: ادع عليهم! "، فقال: " إذا فرحهم في الآخرة تاب عليهم في الدنيا، ولم يضركم شيء ".

يا هذا! لو زدتنا لزدناك!:

وجاء رجل إليه، فقال: " جاءني البارحة مولود، وجئت لأتبرك بالنظر إليك ". فقال: " أقعدت!، عافاك الله!، وقل مائة مرة: " ما شاء الله كان "، فقالها؛ قال: " قل مثلها "، فقالها، حتى قال ذلك خمس مرات، فكان ذلك خمس مئة مرة؛ فلما استوفاها دخل عليه خادم جعفر وبيده رقعة وصرة، فقال: " ستنا تقرأ عليك السلام، وتقول لك: خذ هذه، وادفعها إلى قوم مساكين "، فقال: " ادفعها إلى ذلك الرجل "، فقال: " فيها خمسمئة درهم! "، فقال: " قد قال خمسمئة مرة: ما شاء الله كان "؛ ثم أقبل على الرجل، وقال: " يا هذا! لو زدتنا لزدناك! ".

وددت لو أني تزوجت!:

وروى في النوم، فقيل له: " ما فعل بك ربك؟، قال: " أباحني الجنة، غير أن في نفسي حسرة، أني خرجت من الدنيا ولم أتزوج "، أو قال: " وددت
لو أني تزوجت! ".

او ليس قد مت؟!:

وقال أبو بكر الخياط: " رأيت - في المنام - كأني دخلت المقابر، فإذا أهل القبور جلوس على قبورهم، وبين أيديهم الريحان؛ وإذا بمعروف بينهم، يذهب ويجيء، فقلت: " أبا محفوظ!، ما صنع الله بك؟، أو ليس قد مت؟! "، قال: " بلى! ". ثم أنشد:

موت التقي حياة لا نفاذ لها :: قد مات قوم، وهم في الناس

أحياءُ : [1]

* * *

(1) طبقات الأولياء، ص 48.